بلاد الجزيرة

قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

فرزة من : مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الاول - المجلد السادس والثلاثون

رجب ١٤٠٥ هـ

آذار ١٩٨٥ م

الجزء الاول

المجلد السادس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

شعبان ١٤٠٥ هـ
نيسان ١٩٨٥ م

بلاد الجزيرة

قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

الموقع والحدود

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها .

وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاث ديار : ديار ربيعة ، وديار مُضَر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية : ربيعة ومُضَر وبَكْر ، التي نزلت الجزيرة قبل الاسلام ، فعرف كل من هذه الديار بقبيلته .

وكانت مدينة الموصل على دجلة ، أجل مدن ديار ربيعة . وكانت مدينة الرقة على الفرات ، قاعدة ديار مضر . وآمِد في أعالي دجلة ، أكبر مدن ديار بكر ، ومدينة ديار بكر هي أقصى هذه الديار شمالا .

على أن قسماً من البلدانيين العرب القدامى ، أطلقوا على الجزيرة اسم : أقور ، كالمقدسي وياقوت الحموي ، وأصل اسم : أقور ، غير واضح ، ويبدو أنه الاسم القديم للجزيرة .

واذا رجعنا الى الخريطة ، تبين لنا أن دجلة والفرات في بلاد مابين النهرين العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما ، فقد كانت هذه الروافد تنحدر اليهما من شمالهما الشرقي أو من الشمال . وقد شذ عن هذه القاعدة في القرون الوسطى ، انصراف ماء نهر الهرماس (نهر نصيبين) الآتي من نصيبين. والهرماس رافد الخابور الكبير ، فمياه الهرماس قد سكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكَير العباس ، فبينما كان قسم من مائه يجري فيلتقي هو والخابور الذي يصب في الفرات عند مدينة قَرِقيْسِياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب في يمين دجلة عند تكريت ، بعد أن تجري في واد يقال له : الثرثار ، والثرثار نهر يخرج من الهرماس ، أوله من عند سُكَير عباس ، يمر في وسط البرية ويصب في دجلة أسفل من تكريت بعد أن يمر بمدينة الحضر التاريخية .

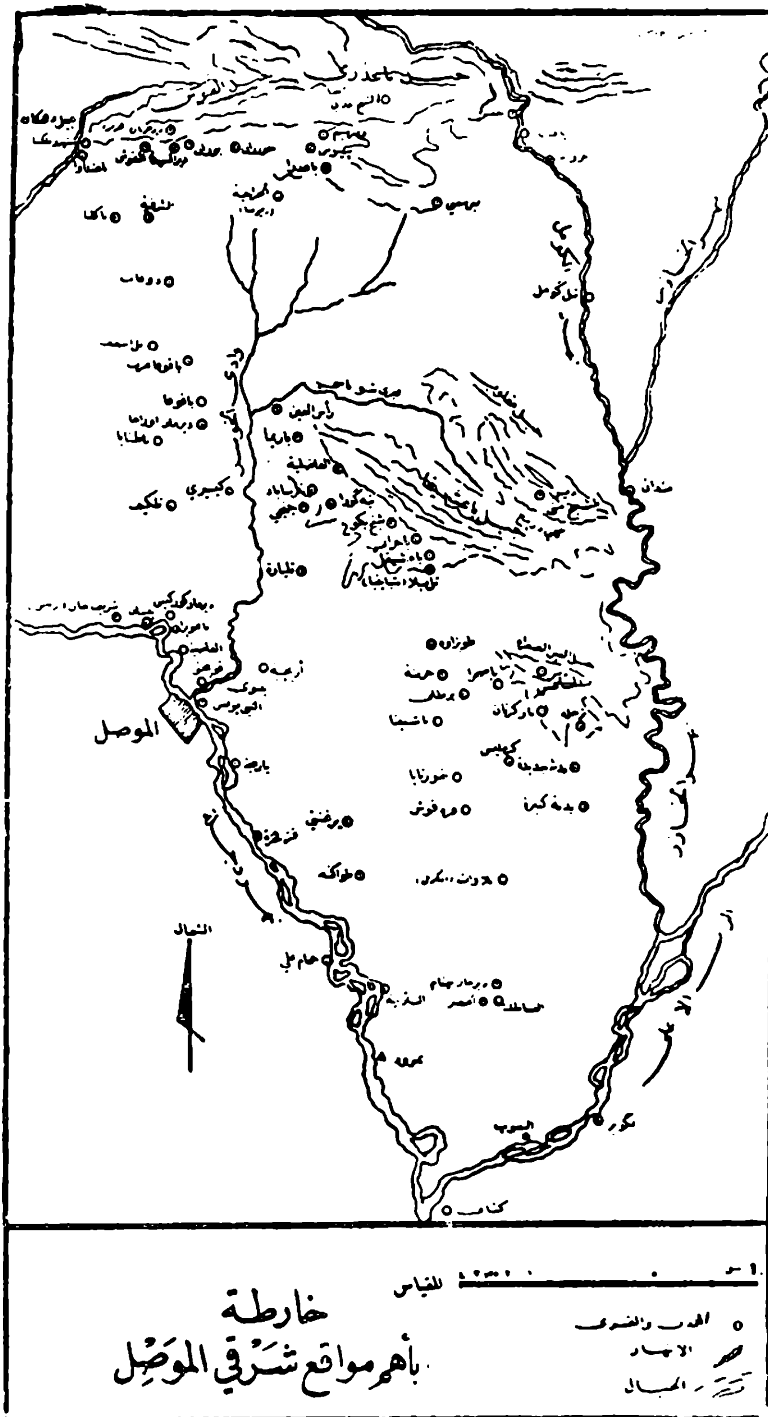
لهذا فقد عينت حدود الديار الثلاث هذه الفواصل المائية ، فقد كانت ديار بكر ، وهي سقى دجلة من منبعه الى منعطفه العظيم في الجنوب الى أسفل تل فافان [1] مع ما في شمالها من أرض تسقيها روافد دجلة الكثيرة التي تصب في يساره غربي تل فافان .

وكانت ديار مضر الى الجنوب الغربي ، هي الارض المحاذية للفرات من سميساط ، حيث يغادر سلاسل الجبال منحدراً الى مدينة عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ [2] رافد الفرات الآتي من حران .

أما ديار ربيعة ، فقد كانت في شرق ديار مضر ، وتتألف من الارض التي في شرقي الخابور الكبير (خابور الفرات) المنحدر من مدينة رأس العين ومن

(١) فافان : موضع على دجلة تحت ميافارقين يصب في دجلة عند وادي الرزم ، انظر معجم البلدان (٦/٣٣٢) .

(٢) نهر البليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون ، ويصب في الفرات تحت الرقة ، انظر معجم البلدان (٢٨٦ ـ ٢٨٧) .


الموصل
الشمال
للقياس
خارطة
بأهم مواقع شرقي الموصل

الارض التي في شرقي نهر الهرماس ، وهو النهر المنساب في وادي الثرثار باتجاه الشرق الى دجلة ، وكذلك من الارض على ضفتي دجلة تمتد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أي الارض التي في غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان الاسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير (خابور دجلة) •

والجزيرة كما ذكرنا ، هي البلاد التي بين دجلة والفرات ، وقد ضموا كثيراً من البلاد الفراتية التي في الجانب الآخر من الفرات من بر الشام الى الجزيرة ، لقربها من البلاد الجزرية ، مثل : الرحبة وغيرها •• والذي يحيط بالجزيرة الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة ، فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات الى ملطية الى سميساط الى قلعة الروم الى البِيرَة الى قبالة مَنْبِج الى بالس الى الرقة الى قرقيسياء الى الرحبة الى هِيْت الى الانبار ، ومن الانبار يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة، ثم يعطف الحد من الانبار الى تكريت وهي على دجلة الى السِنّ الى الحديثة على دجلة الى الموصل الى جزيرة ابن عمر آمِد ، ثم يصير الحد غربياً ممتداً بعد أن يتجاوز آمد على حدود ارمينية الى حدود بلاد الروم الى الفرات عند ملطية من حيث ابتدأنا ، فعلى هذا يكون بعض ارمينية وبعض بلاد الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض ارمينية شماليها •

المـدن

أولاً . ديار ربيعة

(١)ـ المَوْصِل (٣)

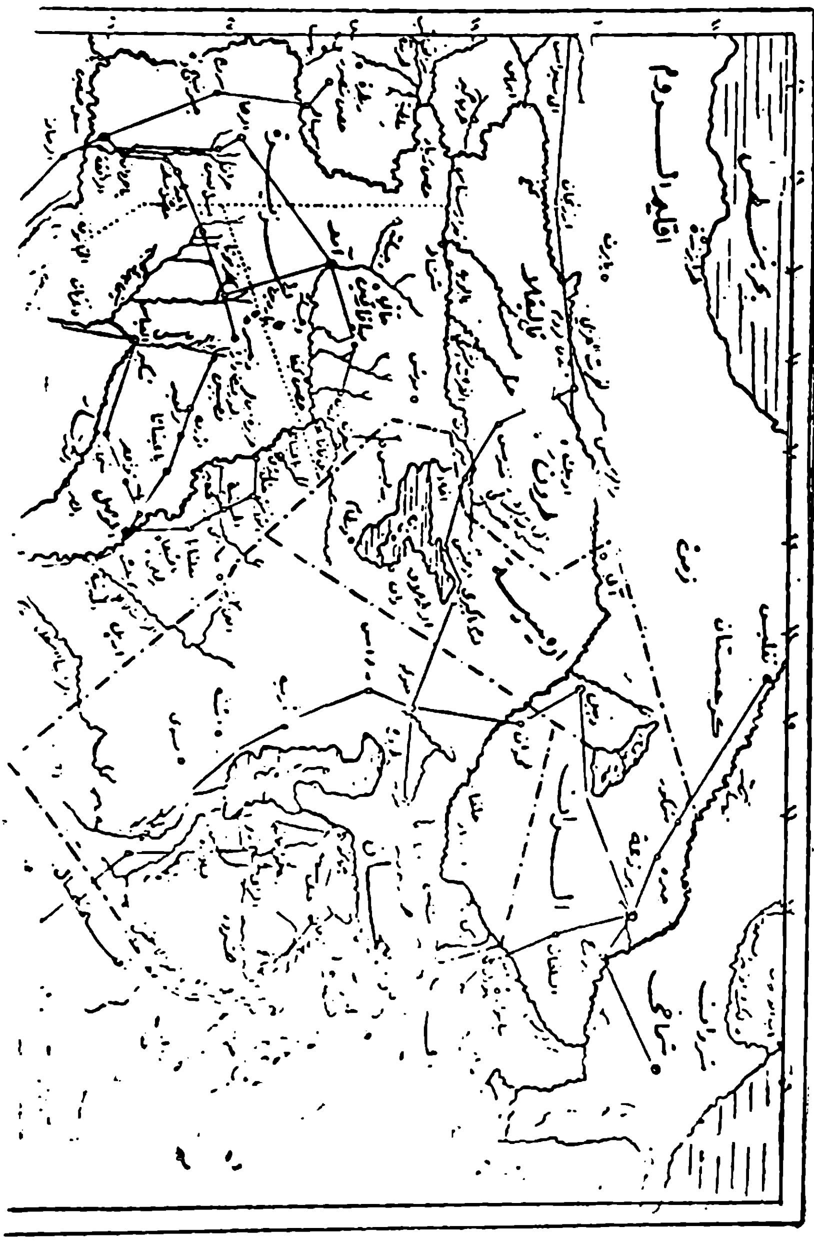
المدينة المشهورة العظيمة ، احدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النظير كِبَراً وعِظَماً وكثرة خلق وسِعة رُقْعة ، فهي محط رحال الركبان ، ومنها يُقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى أذربيجان . وكثيراً ما قيل : ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نَيْسَابُور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قلَّ ما لا يمرّ بها .

وسميت الموصل، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل : لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل : لاتصال روافد نهر دجلة فيها .

وهي مدينة قديمة ، تقع على ضفة دجلة الغربية ، حيث تتصل روافد نهر دجلة فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ومقابلها من الطرف الشرقي نينوى ، وهي قاعدة ديار الجزيرة بعامة وقاعدة ديار ربيعة بخاصة .

وعلا شأن الموصل في أيام بني أمية ، ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى التي في الجانب الشرقي. وصارت الموصل في عهد مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين قاعدة اقليم الجزيرة دون منازع ، وبنى فيها الجامع الذي عرف بعدئذ بالجامع العتيق في

(٣) كوركيس عواد ـ تحقيقات بلدانية تاريخية في شرق الموصل ـ مجلة سومر ـ المجلد ١٧ ـ بغداد ـ ١٩٦١ ، وقد استفدت من هذه الدراسة ومن الخريطة المرفقة بها في المعلومات الواردة عن الموصل وما حولها .



نينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة على نحو كيلو مترين من محلة الكوازين حالياً ، ويعرف اليوم باسم : جامع المصفّي ، على اسم الحاج محمد مصفي الذهب الذي جدد بناءه سنة (١٢٢٥ هـ) •

والمدينة حسنة البناء ودورها بهية ، وهي نصف مستديرة ، وفي أعلى البلد قلعة عظيمة ينتظمها سور مشيد البروج ، وقد فصل بين القلعة والبلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى أسفله •

ودجلة شرقي البلد ، وهي متصلة بالسور ، وأبراجه في مائها ، ومازالت قطعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين بقايا قصر بدرالدين لؤلؤ (قره صراي) وباش طابية ، وهو البرج الكبير المطل على النهر جنوبي عين كبريت المعروفة في الموصل •

وللبلد ربض كبير ، فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق ، وفيها مستشفى كبير ، وسوق يقال له : القيسارية ، وفي المدينة مدارس للعلم كثيرة•

وحول المدينة خندق كبير عميق ، وكان حولها بساتين كثيرة تسقيها النواعير •

٢ – نِينَوى :

قرية النبي يونس بن مَتّى عليه السلام (ذو النون) ، وترى أطلال نينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة ، على نحو كيلو مترين من ضفته ، وقد كان هذا النهر يحاذى سور نينوى في أيام عمرانها ، ويشق نهر الخوسر بقاياها ، فما كان يمينه سمى : تل قوينجق ، وما كان في يساره سمي : تل النبي يونس •

وكانت نينوى من عواصم الآشوريين ، وفيها كان معبد الاله عشتار ، وعظم شأنها في عهد الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق•م) ، اذ

وسعها وشيد فيها قصوراً ومعابد وثكنات ، وحوطها بسور وخندق ، وقد ظلت عاصمة للاشورين الى زوال ملكهم بيد الكلدانيين والماديين سنة (٦١٢ ق٠ م) ٠

وقد نقب في تل قوينجق، وهو من أقسام هذه المدينة ، منقبون بريطانيون منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر فيه على بقايا قصورها ومعابدها وكثير من آثارها، منها مكتبة آشور بانيبال التي استخرج منها نحو ثلاثين ألف رقيم طين نُقلت الى المتحف البريطاني ، وآخر حفرٍ جرى في هذا التل كان سنة خمسين وثلاثمائة وألف الهجرية (١٩٣١ م) ٠

وقد عرفت نينوى بهذا الاسم ، لأنها كانت موضع عبادة الآلهة (نينا) منذ أقدم الأزمنة ، وكانت السمكة تعد من الحيوانات المقربة لهذه الآلهة ٠ ويحتمل أن للفظة (نون) التي كانت تعني في الآشورية : (سمكة) ، صلة بهذا الاسم على نحوٍ ما في العربية واللغات السامية الأخرى ٠

وكانت نينوى محاطة بأسوار عظيمة طولها اثنا عشر ميلا ، ومازالت أطلالها ظاهرة للعيان ، تبدو في سلسلة من التلال ٠ وكانت البقعة التي تلتف حولها هذه الأسوار ليست بذات شكل منتظم يبلغ طولها زهاء ثلاثة أميال ، أما عرضها فيختلف ، ففي الشمال كان يبلغ نحواً من ميل ، ثم يضيق حتى يبلغ عند النهاية الجنوبية نحو ثلاثة أرباع الميل ٠ وكان في هذه الاسوار خمسة عشر باباً ، لكل منها اسم يعرف به ٠ ولم تكن رقعة الارض التي يكتنفها السور مشغولة كلها بالمساكن ، بل كانت هنالك حدائق تسقى من ماء نهر الخوسر ، وساحات من الأرض ٠ ويشكل التلان الكبيران : تل قوينجق ، وتل التوبة قلعتين حصينتين ، يصل السور ما بينهما ٠

وتل التوبة ، أحد تلول نينوى ، تقوم فوقه اليوم قرية نينوى ، وفي باطن هذا التل، بقايا قسم من مدينة نينوى القديمة ، يضم بعض قصورها ومعابدها٠

٣ ـ بَرْطُلى :

قرية كبيرة عامرة على بعد خمسة عشر ميلا من شرقي مدينـة الموصل ، كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء ، والغالب على أهلها النصرانية ، وبها جامع للمسلمين وأقوام من أهل العبادة والتزهد ، ولهم بُقُول وخس جيـد يضرب به المثل ، وشربهم من الآبار • والجامع كان يقع في جنوب شرقي برطلى على مسافة دقيقتين للذهاب الى كَرَمْلَيْس ، وقد خرب الجامع منذ عهـد بعيد ، وبقيت انقاضه التي تعرف عند أهل برطلى بـ : مُصَلى •

٤ ـ باعَشِيقا :

بليدة تقوم على مسافة ستة عشر ميلا من شرقي الموصل ، لها نهر جارٍ يسقى بساتينها وتداربه عدة أرحاء ، وبها دار امارة ، ويشق النهر في وسـط البلد ، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والنارنج ، ولها سوق كبير، وفيه حمامات وقيسارية يباع بها البز ، وبها جامع كبير حسن له منارة •

ونهرها هو عين جارية ، تنبع من جبل باعشيقا ، وأما النخل والنارنج فلا نجدهما اليوم في بساتين باعشيقا التي تكاد تكون في جملتها أشجار الزيتون•

والى جانبها قرية : باحزاني •

وتشتهر باعشيقا باستخلاص زيت الزيتون ، وبصناعة الصابون منه ، وهي تصدرها الى الموصل وغيرها •

٥ ـ كَرَمْلَيْس :

بلدة في شرقي الموصل على بعد ستة عشر ميلا منها ، شرقي دجلة ، كثيرة الغلة والأهل ، بها سوق عامرة وتجار •

٦ — جُهَيْنة :

قرية كبيرة من نواحي الموصل ، على ضفة دجلة الغربية ، تقع جنوبي الموصل قرب (القيارة) ، وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل ، وعندها مرج يقال له : مرج جهينة •

وقد خربت جهينة ، وتعرف بقاياها بهذا الاسم أيضا ، وهي على عين طريق السيارات القاصد من الموصل الى بغداد ، وأمامها المرج الواسع الذي ينتهي بضفة دجلة •

٧ — الحَدِيْثة :

وتسمى : حديثة الموصل تمييزاً لها عن حديثة الفرات ، وهي بليدة على شاطىء دجلة الشرقي قرب الزاب الاعلى ، على فرسخ فوق ملتقاه بدجلة ، بينها وبين الموصل أربعة عشر فرسخا •

وكانت قديما ، عرفها الآرميون باسم : حذتا ، ومعناها الحديثة ، وسماها اليونان (Kainai) وهي بالمعنى ذاته ، وكانت تعرف في أيام الساسانيين باسم : نوكرد ، ومعنى ذلك بالفارسية : البلدة الحديثة ، وكانت قصبة المنطقة قبل توسع الموصل بعد فتحها ، وأعاد عمارتها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية على جرف يشرف على مناقع، وهي كثيرة الصيود ، ذات بساتين وأشجار، وقد بُنيت على شبه دائرة ، ويصعد اليها من دجلة على درج ، وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط •

ولا أثر للحديثة اليوم •

٨ — السِنّ :

بلدة على بعد ميل تحت ملتقى الزاب الأسفل بدجلة على ما في المسعودي،

ولكنها على ما في المقدسي فوقه ، والزاب الأسفل (الاصـغر) في شرقيها ، فوق تكريت ، لها سور وجامع ، وفي أهلها علماء ، وفيها بيع للنصارى ، وكان يقال لها : سِن بارِمّا تمييزاً لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسِن •

وجامع السِنّ بالاسواق ، بناؤه من الحجارة، ولا أثر لهذه البلدة اليوم•

٩ ـ البَوازِيْج :

بلد قرب تكريت ، على فم الزاب الاسفل ، حيث يصب بدجلة ، ويقال لها : بوازيج الملك ، لها ذكر في الأخبار والفتوح ، وهي من أعمال الموصل ، ولا أثر لها اليوم ، كما هو الحال في الحديثة والسِنّ ، وتعليل ذلك أن أسافل الزابين قد تبدلت كثيراً ، وكانت البوازيج تبعد عن السِنّ أربعة فراسخ شرقاً•

١٠ ـ بارِمّا :

من جنوب السِنّ ، كان الطريق الى سامراء وبغداد ، يساير ضفة دجلة اليسرى ماراً أولا ببارِمّا ، وهي بلدة بلحف جبل بارِما ، ويعرف أيضاً بجبل حمرين ، وهو جبل بين تكريت والموصل • وتقع بارما شرقي دجلة ، واليها نسب السِنّ ، فيقال : سِن بارما •

١١ ـ دَقُوقاء = داقوق = طاووق :

مدينة بين أرْبِل وبغداد ، تقع على بعد نيف ومئة ميل من شرق السِنّ ، وهي بلدة وسطة ، هواؤها أصح من هواء بغداد ، وبالقرب منها عيون نفط ، يرويها نهر داقوق (نهر العظيم) الذي ينبع من جبال كردستان قرب دربند خليفة ، ويفنى ماؤه أسفل مدينة داقوق في الارض الرميلة ، حيث مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها مَنْ يحاول اجتيازها • ويصل نهر داقوق الى دجلة في موسم الفيضان ، ومجراه الاسفل هو ما يُعرف اليوم بنهر العظيم ، فينصب

في العظيم الفائض من مياه نهر داقوق وغيره ، ومازالت بقايا بعض أنهارٍ كانت تحمل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه فوق البند (أي سد العظيم) بنحو كيلو مترين عند جبل حمرين • وفي الازمان القديمة حين كان النهروان حياً بأجمعه، كانت مياه نهر داقوق في فيضان الربيع تنصبّ في النهروان •

١٢ – إِرْبِل = أَرْبِيل :

وهي أربلا القديمة ، تقع في فضاء من الارض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير ، يقصدها التجار ، وقلعتها على تل عالٍ من التراب عظيم ، ولها خندق عميق ، وسور المدينة ينقطع في نصفها ، وفيها سوق عظيمة ، وبها مسجد يسمى : مسجد الكف ، فيه حجر عليه كف انسان • وفي المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) قامت في ربضها خارج السور مدينة كبيرة ، عمرت فيها أسواق وقيساريات ، وغلتها من الحنطة والشعير فاخرة •

وترقى مدينة اربل الى اقدم العهود الآشورية ، بل لعلها الموضعالآشوري الوحيد الذي ظل عامراً آهلا ومحتفظاً باسمه حتى اليوم • واسم اربل الآشوري القديم هو : (أربا – ايلو) ومعناه : أربعة آلهة •

وهي اليوم مدينة كبيرة عامرة ، تقوم أحياؤها العتيقة على التل الاثري العالي المعروف بقلعة أربيل ، وفي أرباضه امتدت أحياؤها الحديثة •

وفي سهل أربيل ، جرت المعركة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس سنة (٣٣١ ق•م) ، وهي المعركة باسم : (كوكميلا) •

١٣ – العَمادِية :

مدينة فوق جبل (كُوْرِك) شمال الموصل وعلى بعد (١٦٨) كيلومتراً ، تقع بالقرب من منابع الزاب الأعلى ، وهي منأعمال الموصل ، عمَرها عمادالدين

زنكي بن آق سنقر في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة الهجرية ، وكانت قبلها حصناً للاكراد فخربوه ، فأعاده زنكي وسماه باسمه، وكان اسم الحصن الاول : (آشب) •

وفي المدينة قلعة حصينة مكينة عظيمة لاتزال بقاياها موجودة حتى اليوم•

وقد جاء في الكتابات الآشورية اسم مدينة في موضع العمادية أو بالقرب منه وهي : (أمات Amat) ، وأقدم ذكر انتهى الينا ، في مسلة وجدت في القصر الجنوبي الغربي من مدينة (نمرود) الأثرية ، فيها أخبار شمسى أداد الخامس الملك الآشوري (٨٢٣ ــ ٨١٠ ق•م) وهو ابن شلمنصر الثالث • وذكرها الملك أداد نيراري الثالث (٨٠٥ ــ ٧٨٢ ق•م) ابن شمسى أداد الخامس في مسلة وجدت في نمرود أيضاً ، وبقيت أمات مدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث •

١٤ ــ فيشابور = فيشخابور :

قرية كبيرة على بعد نحو مئة وخمسين ميلا شمالي شرقي الموصل ، تقع جنوبي مصب الخابور بنهر دجلة ، وينبع النهر من جبال الزوزان المجاورة لجبال العمادية ، وكان على الخابور (وهو غير خابور الفرات) قنطرة عظيمة لاتزال بقاياها حتى اليوم عند بلدة الحسنية (زاخو) قرب قرية حسن آغا ، ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة •

١٥ ــ الحَسَنِيَة = زاخو :

بلد في شرقي الموصل وعلى بعد يومين منها ، تقع بينها وبين جزيرة ابن عمر ، ويبدو أنها مدينة زاخو الحالية ، ولعل قرية (حسنة) القائمة بازائها في الجانب الآخر من الخابور قد حافظت على اسم الحسنية القديم •

ولاتزال القنطرة العظيمة باقية الآثار في زاخو حتى اليــوم ، وكان في الحسنية جامع ، وهي بلد ذو شأن •

١٦ — مَعْلَثايا :

بليد يقع جنوبي زاخو وعلى بعد مرحلة واحدة منها ، على طريق الموصل، وفيه جامع على تلٍ ، وهي كثيرة البساتين ، وهو من نواحي الموصل •

١٧ — جزيرة ابن عمر :

مدينة ذات شأن ، تعرف بالجزيرة وجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي بانيها ، وكانت دجلة تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة ، شبه الهلال ، ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ، ونصب عليه رحًى، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق • تقع في شمالي فيشخابور على بعد ثلاث مراحل من الموصل باتجاه الشمال ، بناؤها من الحجارة ، عليها سور، ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل ، وسورها مبني بالحجارة أيضاً ، وكان من أعمالها مئة قرية ونيف من القرى •

١٨ — بازَبْدَى :

قرية تقع قبالة جزيرة ابن عمر ، في غربي دجلة ، وهي قرب باقِرْدَى من ناحية جزيرة ابن عمر ، التي في شرقي دجلــة ، وهما كورتان متقابلتان ، وسميت الكورة باسمها ، كما سميت الكورة المقابلة باسم باقردى •

١٩ — نَصِيْبِين :

مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل الى الشام، وفيها وفي قراها أربعون ألف بستان ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها

وبين الموصل ستة أيام ، عليها سور بنته الروم وأتمه أنو شروان ملك الفرس • وهي قاعدة ديار ربيعة ، تقع على نهر الهرماس (نهر نصيبين) ، وجبل نصيبين هو جبل الجودي الذي يقال : ان سفينة نوح استقرت عليه ، وهي مخصوصة بالورد الابيض ، وتكثر فيهـا العقارب القاتلـة ، وهي وبئة لكثرة مياههـا وبساتينها •

ونصيبين هي : (نسبيس Nisibis) الرومانية ، وسماها جغرافيو اليونان : (سوكورس Saocoras) أو (مكدونيس Mygdonius) ومازالت من أعظم مدن الجزيرة شأناً ، ولها جامع في وسط البلدة ، وبها حصن من حجر وكلس ، وفيها مستشفى عام ومدارس وغير ذلك من العمارات الحسنة، وغلاتها وكرومها وفواكهها فاخرة •

٢٠ – رَأْسُ العَيْن :

تقع قرب منابع خابـور الفرات ، وهي : (رأس اينـا Resaina) الرومانية ، مشهورة بكثرة عيونها البالغ عددها ستين وثلاثمائة عيناً ، وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كأنها بستان واحد • وعين الزاهرية فيها لا يُعرف لها قرار ، والناس يركبون الزوارق الصغار في مياهها ويذهبون الى بساتينهم والى قرقيسياء ، ويصب ماؤها في نهر الخابور •

لها سور من حجارة ، وكان داخل السور بساتين وطواحين ، وكان لاهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مما يلي دورها ، لها جامعان ومدرسة وحمام ، وبناؤها بالحجارة والجص •

٢١ – مارِدِيْن :

مدينة تقع على نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، في شمالها

القلعة الحصينة المنيعة العظيمة الصخرية : قلعة ماردين المشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين ، على قنة جبل الجزيرة ، وتشرف على الفضاء الواسع، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبط، ودورهم فيها كالدرج : كل دار فوق الاخرى ، وكل درب منها يُشرف على ما تحته من الدور ، ليس دون سطوحهم مانع . وعندهم عيون قليلة ، وجلُ شربهم من صهاريج مُعدَّة في دورهم ، والقلعة من أحسن القلاع وأحصنها وأحكمها ، وكان يقال لها : الباز ، وهي معقل أمراء بني حمدان ، وتقع شمالي دُنيسر بثلاثة فراسخ .

ويُصنع بماردين الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز ، كثيرة الغلات والقطن والفواكه .

٢٢ – طُوْر عَبْدِين :

بليدة من أعمال نصيبين ، في بطن الجبل المشرف عليها ، المتصل بجبل الجودي ، وهي قصبة كورة من كور نصيبين ، وفيها مخرج نهري الهرماس والخابور .

٢٣ – دُنَيْسِر :

بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين ، بينهما فرسخان ، ولها اسم آخر هو : قوج حصار ، وهي مدينة ذات أسواق عظيمة ، وليس بها نهر جارٍ ، وانما شربهم من آبار عذبة طيبة مرية ، وأرضها حرة وهواؤها صحيح .

وهي مدينة لا سور لها ، تأوى اليها القوافل .

٢٤ – دَارَا :

بلدة في لحف الجبل ، بين نصيبين وماردين ، وكانت في أيام الروم قلعة

عظيمة ، وهي بلدة صغيرة ، تسقى من قناة تعم البلد وتجرى فوق السطوح وتقر في الجامع ثم تنحدر الى وادٍ ، وبنيانهم حجارة سود وكلس، ومن أعمالها يجلب المحلب الذي تتطيب به الأعراب ، وهي ذات بساتين ، وفي المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) أصبحت قلعتها خراباً لا عمارة بها •

٢٥ - كَفَرْ تُوثا :

قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين (دارا) خمسة فراسخ ، وهي بين (دارا) ورأس العين ، وتقع في جنوب غربي ماردين على نهرها الصغير ، وكانت حصناً قديماً من حصون الروم ، فسكنها الناس ومدنوها وحصنوها •

٢٦ - ماكِسِيْن :

مدينة بالجزيرة من أعمال ربيعة ، على خابور الفرات ، بالقرب من الرحبة، عليها جسر من السفن يقطع الخابور ، ويكثر فيها القطن •

٢٧ - عَرَبان :

مدينة بالجزيرة من ديار ربيعة بالقرب من ماكسين ، عليها سور منيع ، تعمل فيها الثياب القطن ، وهي كثيرة الأقطان •

٢٨ - سُكَيْر العبّاس :

بلفظ تصغير السَكِر ، وهو اسم للسداد الذي تُسد به فوهة الأنهر ، ويرى اليوم على نهر الهرماس (نهر جغجغ) بقايا سِكر على شيءٍ يسير من ملتقاه بالخابور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبي النهر •

وهي أيضاً بليدة صغيرة بالخابور ، فيها منبر وسوق •

٢٩ — سنْجَار :

تقع غربي الموصل وعلى ثلاث مراحل منها ، في جنوبي مدينة نصيبين ، وهي من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال ، مشهورة بالاترنج والنارنج وبها نخل كثير ، والجامع في وسط البلدة ، ولها سور دائرته (٣٢٠٠٠) خطوة وهو من حجارة ، ويصعد الى دورها بدرجات في سفح الجبل ، وتكثر في بساتينها الكروم والزيتون والسماق ، وهي طيبة الهواء ، وهواؤها نقي •

وجاء في الكتابات المسمارية ما يدل على أنها كانت موجودة منذ العصور الآشورية ، واستولى عليها الرومان في القرن الاول للميلاد ، ودارت معارك طاحنة بينهم وبين الفرس ، ويبدو أنها ظلت على شيءٍ من الاستقلال في عهد الرومان ، فان ملوكها ضربوا النقود بأسمائهم ، وهي موجودة في المتاحف •

٣٠ — الحَضَر :

بلدة أثرية قديمة ، لاتزال آثارها باقية حتى اليوم ، وخرائب الحضر تقع غرب وادي الثرثار بمسافة أربعة كيلو مترات ، وعلى نحو سبعين كيلو متراً غرب الشرقاط ، وعلى مئة وخمسين كيلو مترا جنوب غربي الموصل • والثرثار يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاه بدجلة قرب تكريت ، وأبنية الحضر بالحجارة المهندمة المربعة •

وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف ، فما زلنا نجهل زمن بنائها ومن بناها وسبب قيامها بمفردها في البرية الواسعة التي بين نهري دجلة والفرات • ولكننا نعرف أنها وصلت الى أوج عزها في أواخر المئة الاولى للميلاد ، وثبتت أمام جيوش الرومان في المئة الثانية للميلاد ، ولكنها لم تقوَ على الوقوف بوجه هجوم سابور الاول الساساني ، فقد احتلها بعد أن حاصرها وأعمل السيف في أهلها ، ونهب قصورها ومعابدها ، في نحو منتصف المئة الثالثة للميلاد •

ويظهر أن الحضر لم تعش بعد ذلك ، وهجرها مَن بقى من أهلها على قيد الحياة •

٣١ – أَسْكِي مُوصِل = بَلَد :

بليدة صغيرة ، على اربعة فراسخ من الموصل ، فيها مشهد من مشاهد آل البيت ، وأصبحت في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) مدينة كبيرة ، فيها قصور حسنة ، وبنيانها من الحجر والجص ، ولها أسواق ، وجامعها وسط البلدة •

وهي اليوم قرية على نحو أربعين كيلو متراً شمال غربي الموصل في ضفة دجلة اليمنى ، وتقوم عند الخرائب المعروفة حالياً بهذا الاسم : أسكي موصل، وهي بقايا مدينة (بَلَط) الآشورية التي ورد اسمها في كتابات سنحاريب الملك الآشوري (٧٠٥ – ٦٨١ ق٠م) • وقامت هناك مدينة في العصر الاسلامي، سماها البلدانيون العرب : بلد وبلط ، وقد عثر في بعض أطلالها على مسكوكات أتابكية احداها تعود الى قطب الدين مودود ، مما يدل على أن هذا القسم من الأطلال والسور الذي حولها فوق التل القديم من المنشآت الأتابكية •

وعلى مقربة من أسكي موصل ، قنطرة ذات طاق واحد تعرف بهذا الاسم الاسم أيضاً ، ارتفاعها اثنا عشر متراً في الوقت الحاضر ، وعرضها اثنان وعشرون مترا ونصف المتر ، مبنية بالحجارة الكبيرة المهندمة ، على بعضها حروف يحتمل أنها يونانية ، وفي وجه الطاق كتابة عربية منقورة في الحجر ، ويرجح أنها كتبت بعد انشاء القنطرة التي يبدو من طرازها أنها رومانية ، فجددت بعد ذلك •

٣٢ — تَـلّ أعْفَر :

اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل ، في غربي الموصل ، على طريق الموصل ــ سنجار ، وكان اسمها عند الآشوريين : (نمت عشتار) •

وهي في وسط وادٍ فيه مـاء جارٍ ، والقلعة على جبـل منفرد حصينة محكمة ، وبها نخل كثير يصدر رطبه الى الموصل •

بين سنجار وتل أعفر خمسة فراسخ ، وبين تل أعفر وبين بلد ستة فراسخ، وأصل اسمها : التل الاعفر ، للونه الاعفر ، وغلالها جيدة •

٣٣ — المَحْلَبِيّة :

بليدة بين الموصل وسنجار ، قصبة كورة الفرج من تل أعفر • وهي اليوم من قرى لواء الموصل ، قرية كبيرة كالبلدة . فيها عين وافرة المـاء تعرف بـ : سرب المحلبية ، تعيش فيها أسماك ، وتسقى مياهها بساتين القرية التي تكثر فيها الأشجار المثمرة كالرمان والتين والعنب والخوخ وغيرها •

وفي أطرافها بقايا بلدة اسلامية وتل عالٍ يعرف بتل باليوز ، على سطحه كسر فخار من أدوار ما قبل التاريخ والدور الآشوري •

والمحلبية نسبة الى : المَحْلَب[٤] ، وهو نوع من العطر ، يعمل فيها •

٣٤ — بَاعَيْنَاثَا :

أ ــ مدينة نزهة طيبة ، وهي خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والمياه ، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص •

(٤) المحلب : شجر له حب يجعل في الطيب .

تقع على الطريق الايمن من الموصل ــ أسكي موصل ــ باعيناثا ــ نصيبين • ولا أثر لها في الوقت الحاضر •

ب ــ قرية كبيرة كالمدينة ، فوق جزيرة ابن عمر ، لها نهر كبير يَصُبُّ في دجلة ، وفيها بساتين كثيرة ، وهي من أنزه المواضع ، تُشَبَّه بدمشق •

٣٥ ــ بَرْقَعِيْد :

بلدة كبيرة من أعمال الموصل ، من كورة البقعاء ، وبها آبار كثيرة ، وهي واسعة وعليها سور ، ولها ثلاثة أبواب : باب بلد ، وباب الجزيرة ، وباب نصيبين ، وفيها كثير من حوانيت البيع والشراء •

وقد كانت هذه صفتها قرابة سنة ثلاثمائة الهجرية ، أما في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) فقد أصبحت خراباً صغيرة حقيرة ، وأهلها يضرب بهم المثل في اللصوصية ، يقال : لص" برقعيدي • وكانت القوافل اذا نزلت بها لقيت من أهلها الامرين ، حتى تجنبتها أكثر القوافل ، لكثرة أفاعيل أهلها ، فأصبحت قرية صغيرة ، وهكذا جنى عليها أهلها بسوء أعمالهم •

٣٦ ــ أَذْرَمَة :

مدينة تقع في نحو نصف المسافة بين برقعيد ونصيبين ، بينها وبين برقعيد خمسة فراسخ ، وفيها نهر يشقها وينفذ الى آخرها والى صحرائها من عين على رأس فرسخين منها ، وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص وعلى النهر رحى ماء ، وعليها سوران واحد دون الآخر ، وفيها خرابات وسوق قدر مائتي حانوت ، ولها باب حديد ، ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة، بينها وبين سنجار عشرة فراسخ • ، وهي من أعمال الموصل ، من كورة تُعرف بـ : بين النهرين ، بين كورة البقعاء ونصيبين ، ولم تزل هذه الكورة ، وهي

اليوم من أعمال نصيبين ، وكانت تلك صفتها في المئة الثالثة الهجرية (التاسعة الميلادية) •

أما في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) ، فقد أصبحت قرية ليس فيها مما يوصف شيء واليها يُنسب ، شرب أهلها من آبار ، وبنيانهم قباب ، وهكذا تبدل حالها فكانت مدينة فأصبحت بعد مئة سنة قرية ، وهي من ديار ربيعة •

ثانياً ـ ديار مُضَر

٣٧ ـ الرّقّة والرافِقة :

الرقة مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ، واسمها : البيضاء ، وهي قاعدة ديار مضر من الجزيرة ، تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات •

وقد قامت في موضع المدينة اليونانية القديمة : (كلنيكس Callincus) وهي : (نقفوريوم Nicephorium) ، وما اسم : الرقة العربي ، الا نعت لها ، فالرقة كل أرض الى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء وقت الفيضان ، ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع أخرى ، وهذه الرقة التي على الفرات ، عرفت بالرقة البيضاء تمييزاً لها عن غيرها •

وحين انتقلت الخلافة الى بني العباس في المئة الثانية الهجرية (الثامنة الميلادية) ، كانت الرقة من أهم مدن ما بين النهرين الأعلى ، وتسيطر على تخوم الشام ، فكان على العباسيين الاحتفاظ بها • وشرع المنصور في سنة خمس وخمسين ومئة الهجرية (٧٢٢م) ، ببناء مدينة الرافقة على نحو ثلاثمائة ذراع

من الرقة ، ورتب بها جنداً من أهل خراسان الموالين للدولة الجديدة ، وقد بنيت الرافقة على غرار مدينة السلام : بغداد ، فكانت مدينة مدورة •

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصراً سماه : قصر السلام ، لانه كان يقيم في الرقة أو الرافقة اذا اشتد الحر في بغداد •

وسرعان ما خربت الرقة القديمة ، وشيدت أبنية جديدة على الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وقد كانت الاخيرة ربضاً لها التي بطل اسمها بمرور الزمن ، وكانتا مدينتين متلاصقتين ، في كل واحدة منهما مسجد جامع ، وكانتا كثيرتى الاشجار •

وللرقة حصن عريض ، ولها بابان ، حسنة الاسواق ، كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، وفيها الصابون الجيد والزيتون ، وهو الصابون الرقي المشهور ، وجامع الرقة في سوق البزازين ، وبها حمامات طيبة •

والرافقة هي ربض الرقة ، وكان لكل بيت كبير في الرقة دكة ، وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها : الرقة المحترقة •

وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل ، ولها ربض بينها وبين الرقة ، وبه أسواقها •

وقد خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينتين : الرقة•

٣٨ — صِفِّين :

موضع بالقرب من الرقة ، على شاطىء الفرات من الجانب الغربي ، بين الرقة وبالس ، وعلى أرضها جرت المعركة المشهورة بين علي بن ابي طالب رضى الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان في سنة سبع وثلاثين الهجرية في شهر صفر •

٣٩ – قَلْعَة جَعْبَر :

تقع بين الرقة وبالس على الفرات مقابل صفين على صخرة لا ترام ، وكانت تسمى : الدوسرية نسبة الى دوسر وهو عبد للنعمان بن المنذر ، فانه بناها لما جعل النعمان دوسرَ المذكور على أفواه الشام . ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيري ، فطالت مدته فيها حتى عمى من الكبر ، فنسبت القلعة اليه ، فقيل لها : قلعة جعبر ، وهي اليوم خراب ليس بها ديار .

وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة الهجرية (١١٠٤م) ، استولى الفرنج عليها في الحملة الصليبية الاولى .

٤٠ – حَرّان :

تقع حران عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولاسيما طريق الشام وطريق الجزيرة ، قرب منبع نهر البليخ ، وهي مدينة الصابئين الحرانية، وينبغي الا يخلط بينهم وبين صابئة العراق اليوم ، فصابئة حران على دين ابراهيم عليه السلام . وهي مدينة نزهة عليها حصن من حجارة حسن البناء ، وسورها مبني بالحجارة ومحيطه (١٣٥٠) خطوة ، ولها أسواق مسقفة ومدرسة ومستشفى عام ، وفيها جامع ، وما حولها من الارض تسقيها أنهار لا عدَّ لها .

وكانت حران (كرها Carrhae) منذ الالف الثاني قبل الميلاد قاعدة اقليم كبير ، وظلت عامرة حتى المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) ، حكمها الآشوريون واليونان والرومان والفرس قبل أن يفتحها المسلمون سنة ثمان عشرة الهجرية (٦٣٩م) ، ونزلها مروان الثاني آمر خلفاء بني أمية ، وتبلغ مساحة أطلالها نحو ميل مربع ، يحيط بها سور خرب .

بينها وبين الرها يوم ، وبينها وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، وهي اليوم خراب .

٤١ ــ الرُّها :

هي : أذاسا ، وسماها العرب : الرُّها ، وهو تحريف للاسم اليوناني : (كلــرهو Callirhoe) ، مدينــة تقع على احــد روافد نهر البليخ ، وأكثر ما اشتهرت به كنائسها الكثيرة ، وبها جامع ، وكانت مدينة محصنة •

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة الهجرية (١٠٩٨ م) استولى عليها بلدوين وبقيت نصفٍ قرن ولاية لاتينية ، ولكن في ســنة أربعين وخمسمائة الهجرية (١١٤٥م) استعادها عمادالدين زنكي الذي حكم سنتي (٥٢١ هـ ــ ٥٤١ هـ) من جوسلين الثاني •

وظلت بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة الهجريــة (الخامسة عشرة الميلادية) ، اذ اطلق عليها اسم : (أورفا) بعد انتقالها الى حــكم العثمانيين ، ومازالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم •

٤٢ ــ باجَدّا :

قرية كبيرة بين رأس العين والرقة ، عليها سور ، وكان مسلمة بن عبدالملك قد أقطع موضعها رجلا من أصحابه ، فبناها وسورها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها ، يشرب منها الناس وما فضل يسقى زروعها ، وهي قرب حصن مسلمة بن عبدالملك على مقربة من شرق نهر البليخ على الطريق الى رأس العين ، وهي على تسعة فراسخ من جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل من ضفة النهر الحقيقية •

٤٣ ــ حصن مَسْلَمَة :

حصن مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، أحد قادة الفتح الاسلامي ، ومن أكبر قادة بني أمية ، وهو بالجزيرة بين رأس العين والرقة ، بنــاه مسلمة على

قدر جريب من الارض (ما يعادل ثلث ايكر) ، وارتفاعه في الهواء أكثر من خمسين ذراعا ، بينه وبين نهر البليخ ميل ونصف الميل ، وشرب أهله من مصنع فيه طوله مائتا ذراع في عرض مثله وعمقه نحو عشرين ذراعاً ، معقود بالحجارة. وكان مسلمة قد أصلحه ، والماء يجرى فيه من نهر البليخ في نهر منفرد في كل سنة مرة حتى يملأه ، فيكفي أهله بقية عامهم ، ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة ، وفوهته من البليخ على خمسة أميال ، وبين حصن مسلمة وحران تسعة فراسخ ، وهو على طريق القاصد للرقة من حران .

٤٤ - باجرْوَان :

قرية من ديار مُضر بالجزيرة ، وكانت من أعمال نهر البَليخ ، منزلا خصبا نزها واسعا ، في جنوب حصن مسلمة في طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها .

وفي المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) اضمحلّ أمرها .

٤٥ - قَرْقِيسِيَاء :

مدينة على ضفة الفرات اليسرى ، حيث يصب خابور الفرات فضلة مياهه في الفرات ، على نحو مائتي ميل أسفل من الرقة ، وهي : (كركيسيوم Circesium) القديمة ، تبعد ستة فراسخ عن الرحبة (رحبة مالك بن طَوق) وأصغر من الرحبة ، لها أشجار وبساتين كثيرة ، وهي في نفسها نزهة .

٤٦ - الرّحْبَة :

رحبة مالك بن طَوق بن عَتّاب التغلبي ، تمييزا لها عن سائر الرحبات الاخرى ، وهي مدينة بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، ومن حلب خمسة أيام ، والى بغداد مئة فرسخ ، والى الرقة نيّف وعشرون فرسخا ، ولم يكن لها أثر

قديم ، انما أحدثها مالك بن طوق أحد قادة الرشيد ، وكان احداثها في خلافة المأمون ، وهي بين الرقّة وعانة .

وقد خربت الرحبة وبقيت قرية ، وبها آثار المدينة القديمة من المآذن الشاهقة وغيرها ، واستحدث شيركوه بن أحمد بن شيركوه بن شادي صاحب حِمص في جنوبيها ناقلا عن الفرات الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات ، وهي بلدة صغيرة لها قلعة على تل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات ، وهي اليوم محط القوافل من العراق والشام ، بين الرحبة الجديدة وقرقيسياء ثلاثة فراسخ .

والرحاب عامة تكون في الاودية ، الواحدة : رحبة ، وهي مواضع متواطئة ليتستنقع الماء فيها ، وما حولها مشرف عليها ، وهي أسرع الأرض نباتا ، وتكون عند منتهى الوادي أو في وسطه ، وتكون في المكان المشرف ليستنقع الماء فيها . واذا كانت في الارض المستوية نزلها الناس ، واذا كانت في بطن المسيل لم ينزلها الناس ، واذا كانت في بطن الوادي فهي أفنة أي حُفرة تمسك الماء ليست بالقعيرة جدا ، وسعتها قدر غلوة ، والناس ينزلون في ناحية منها . ولا تكون الرحاب في الرمل ، وتكون في بطون الارض وظواهرها .

وكان الرشيد قد أقطع مالك بن طَوق أرض الرحبة ، فعمرها مالك وتحول الناس اليها ، فأنفذ له الرشيد رجلا يطلب منه مالا ، فتعلل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال ، ثم ثنى الرسول اليه وكذلك راسله ثالثة ، وبلغ الرشيد عنه أنه قد عصى عليه وتحصن ، فأنفذ اليه الجيوش ، الى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع . وأخيرا ظفر به صاحب الرشيد ، فحمله مكبلا بالحديد الى بغداد ، فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام لم يُسمع منه كلمة واحدة ، وكان اذا أراد شيئاً أومأ برأسه ويده . فلما مضت عشرة أيام ، جلس الرشيد للناس

وأمر باخراجه ، فأخرج من الحبس الى مجلس أمير المؤمنين ، والوزراء والحجّاب والأمراء بين يدي الرشيد ، فلما مثل بين يديه بقي قائما لا يتكلم ولا يقول شيئا ساعة تامة . ودعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه ، فقال له يحيى البرمكي : « ويلك يا مالك ! لم لا تتكلم !! » . والتفت مالك الى الرشيد وقال : « السلام عليك يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأوضح بك سبل الحق ! ان الذنوب تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، وايم الحق ! لقد عظمت الجريرة فانقطعت الحجة ، فلم يبق الا عفوك أو انتقامك ، ثم أنشأ يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي
وأي أمرئ مما قضى الله يفلِتُ
وأي أمرئ يُدلي بعذرٍ وحُجَّة
وسيف المنايا بين عينيه مُصلَتُ
يَعزُ على الأوس بن تَغلب موقفٌ
يُهَزُ عليَّ السيفُ فيه وأسكتُ
وما بي خوفٌ أن أموتَ وانني
لأعلمُ أن الموتَ شيءٌ موَقَتُ
ولكنّ خلفي صبيةٌ قد تركتُهم
وأكبادهم من خشيةٍ تتفتَّتُ
كأني أراهم حين أُنعى اليهمُ
وقد خَمَّشوا تلك الوجوه وصوّتوا

فان عِشــتُ عاشــوا خافضين بغبطــةٍ
أذود الرَّدى عنهم ، وان مــتُّ مَوَّتوا
وكــم قــائلٍ : لايبعــدُ اللــهُ داره
وآخــرُ جــذلان يُسرُّ ويَشــمتُ »

وبكى الرشيد حين سمع هذا الشعر المؤثر البليغ ، ثم قال : « لقد سكتَّ على همة ، وتكلمت على علم وحكمة ، وقد وهبناك للصبية ، فارجع الى مالك ، ولا تعاود فعالك » •

وقد حرصت على تسجيل هذه الطرفة العاطفية ، ليستمتع بها القــارىء كما استمتعت ، اذ لا علاقة لها بالوصف الجغرافي للرحبة ، وعلى كل فعنــاء القارىء بتلاوتها ، أقل من عناء كاتبها ، وما أردت الا امتاع القارىء بهــذه النادرة ، دون أن أفرض عليه تصديقها أو تكذيبها ، فالأمر عندي سيان •

وكان للرحبة حصن منيع وربض كبير ، ودورها من نحو البادية طيلسان•

٤٧ ــ الدّاليِة :

مدينة بشط الفرات في غربيه ، بين عانة والرحبة ، تعرف بدالية مالك بن طوق تمييزا لها عن غيرها ، من ديار مُضر ، وهي بلد صغير ، والرحبة والدالية قرب نهر سعيد الذي كان يخرج من يمين الفرات على شيء قليل فوق قرقيسياء ، ويعود فيصب فيه فوق الدالية • وكان قد أمر بحفر هذا النهر الأمير سعيد بن عبدالملك بن مروان ، وكان رجلا تقيا يلقب بـ : سعيد الخير ، وقد تولى الموصل حينا من الزمن •

وكانت الدالية أصغر من الرحبة ، حسنة ، فوق شرف من الأرض ، على شاطىء الفرات في غربيه كما ذكرنا •

٤٨ – الرصَافة :

مدينة في البادية ، بين الرحبة والرقة ، على أربعة فراسخ من الرقة وفي غربيها ، على طرف البرية ، تعرف : رصافة الشام أو رصافة هشام نسبة الى بانيها هشام بن عبدالملك بن مروان ، بناها لما وقع الطاعون بالشـام ، وكان يسكنها بالصيف •

وفي أخبار ملوك غسّان : «ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأيهم ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم » ، وهذا يدل على أنها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ، ولعل هشاما عمر سورها أو بنى بهـا أبنية يسكنها • وعليها سور ، وليس عندها نهر ولا عين جارية ، انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور ، وربما فرغت في أثناء الصيف ، فلأهل الثروة من يمضي الى الفرات عصرا ، فيجيء بالماء في غداة غدٍ ، لأنه يمضي ثلاثة فراسخ أو أربعة ويرجع مثلها • وعندهم آبار طول رشاء كل بئر مئة وعشرون ذراعـا وأكثر ، وهو مع ذلك ملح ردىء ، ولهم سويق عدة دكاكينه عشرة دكاكين ، ولأهلها حذق في عمل الأكسية ، وكل رجل فيها غنيهم وفقيرهم يغزل الصوف ونساؤهم ينسجن ، وفيها دير عجيب •

وتقوم أطلال رصافة الشام ، على نحو مئتي كيلومتر من شرق مدينـة حلب ، وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية ، وفي سفر الملوك الرابـع (١٩ : ١١ ــ ١٢) ، ولم يبق من هذه المدينة غير أطلال في صحراء جـرداء مقفـرة •

٤٩ ــ الخانوقَة :

مدينة في شرقي الفرات بين الرقة وقرقيسياء ، على يومين فوق قرقيسياء، قرب الرقة ، وهي رزحة الحال ، لا أهمية لها •

٥٠ ــ عانَةُ :

بلدة مشهورة بين الرقة وهيت ، تعد من أعمال الجزيرة ، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة (الحديثة) ، وبها قلعة حصينة ، وتقع على ضفة الفرات الغربية على بعد (٢١٢) كيلومترا شمال مدينة الرمادي •

وهي : (أناتو Anatho) القديمة ، وقد ورد اسمها في الكتابات المسمارية : (أناث) وفي المراجع الاغريقية بصورة : (أناثا) ، وفي الكتابات التدمرية : (عانة) ، وسماها الآراميون : (عانات) •

وكانت عانة المعسكر السابع والعشرين في الطريق الذي أنشأه الملك الآشوري توكلتي نينورتا الثاني (٨٨٩ ــ ٨٨٤ ق•م) ، فقد كان معسكره قبالة جزيرة (عانات) في أرض سوخي وهي عانة الوقت الحاضر ، وكانت عانة في الأصل تقوم على الجزر الخصبة ، ولم تكن في الأزمنة السابقة على ما هي عليه اليوم من امتداد على الساحل الأيمن للفرات ، ولم يكن أهلها في مأمن من غزوات البدو فقط ، بل ان مركزها ساعدهم على اخضاع الجهات المجاورة ، لهذا كان الآشوريون عادة يولون سادة عانة حكاما على مقاطعة سوخي ، وكان الملك توكلتي نينورتا الثاني قد تسلم الجزية من (ايلو ابني) رئيس سوخي الذي كان في بلدة أنات في وسط الفرات •

ولا زالت عانة بلدة عامرة على الفرات حتى اليوم ، وهي مركز قضاء تابع لمحافظة الأنبار •

٥١ ــ بالس :

مدينة في غربي الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب • وهي مدينة (بربالسس Barbalissus) عند الرومان ، وكانت فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم مركزا

لكثير من طرق القوافل •

وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال : « عليها سور أزلي ، ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات ، وأكثر غلاتها القمح والشعير» • وهي وان كان الخراب قد امتد اليها ، فقد قال المقدسي في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية : « انها مازالت عامرة » •

على أن ياقوت الحموي ذكر أن الفرات في المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) : «لم يزل يشرق عنها قليلا قليلا ، حتى صارت بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال » ، ولمح أبو الفدا الى بالس فقال : « بلدة كانت مسكونة »•

٥٢ جسر — مَنْبِج :

على الفرات ، ومنه يصعد طريق يغرب الى منبج : (هيرابوليس Hierapolis) من أعمال حلب ، وكانت مدينة ذات شأن في القرون الوسطى •

وعند الجسر قلعة حصينة ، تحتها ربض عامر ، مطلة على الفرات ، ويقال لهذه القلعة : قلعة النجم ، لأنها على جبل ، وكانت تسمى أيضا : حصن منبج• ولما مر ابن جبير بقلعة النجم وهو آت من حرّان في سنة ثمانين وخمسمائة الهجرية (١١٨٤ م) قال في وصفها : «حولها ديار بادية ، وفيها سويقة» •

والقلعة من بناء السلطان نورالدين محمود بن زنكي ، وكانت مسلحة تشدد النكير على ما في يد الصليبيين من مدن في أيام الحروب الصليبية •

٥٣ — سُمَيْسَاط :

مدينة على شاطىء الفرات الغربي (الضفة اليمنى) ، وعند هذه المدينة ينحرف النهر الى الغرب ، وكانت قلعة مكينة حصينة ، يسكن الأرمن قسما منها• وهذه المدينة قديمة ، وهي المدينة الرومية (سموساطا Samosata) .

٥٤ – سَرُوج :

بلدة قريبة من حرّان من ديار مُضر من بلاد الجزيرة ، بينها وبين حران مسيرة يوم ، كثيرة المياه والبساتين ، بها الرمان المفضل والكمثرى والخوخ والسفرجل ، وهي أيضا على مسافة يوم من البيرة في جهة الشرق والشمال عنها .

وكانت سروج على طريق القوافل من حرّان والرها الى جسر منبج ، وهي اليوم خراب .

ثالثاً : ديار بكر

٥٥ – آمِد :

مدينة قديمة حصينة من ديار بكر ، تقع على غربي دجلة أي يمينه ، يطل عليها جبل علوه خمسون قامة ، عليها سور أسود من حجارة الأرحية الصلبة يحيط بالتل المشرف عليه ، وعلو السور عشرون ذراعا وثخنه عشرة أذرع ، وأكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص ، وكل حجر منه يزن ما يعادل ثلاثة أطنان . وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بنى برج نصف دائري ، تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السود ، وقد شيد في عدة أماكن من السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور ، وكانت في السور أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الأربع الأصلية : يسمى الباب الشرقي بباب دجلة ، والشمالي باب الأرمن ، والغربي باب الروم ، والجنوبي باب التل .

وخارج هذا السور ، سور آخر من الحجر نفسه ، علوه عشرة أذرع ، وفي الفصيل بينهما ربض كالحلقة عرضه خمس عشرة ذراعا ، وكان من فوق هذا السور شرفات ومرقاة للدفاع ، وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل ، فلا أحصن من آمد ولا أجل منها .

والجامع في وسط المدينة ، وفيها عيون كثيرة ، وفي وسط المدينة عين

يتفجر ماؤها من الحجر الأصم ، وهذا الماء من الغزارة مايكفي لادارة خمس أرحاء ، وهو غاية في العذوبة ، وتسقى البساتين المجاورة من هذا الماء •

ومسجدها الجامع جميل البناء ، وهو من الحجر الأسود كسائر المدينة ، وقد أقيم في وسطه أكثر من مئتي سارية من الحجر ، كل سارية قطعة واحدة ، ويعلو هذه السواري عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك ، وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والمدهون • وفي صحن الجامع حوض مستدير من الحجر ، في وسطه أنبوب من النحاس ، ينفر منه ماء صاف ، فيبقى الماء في الحوض على مستوى واحد في كل الأوقات • وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة ، مبنية كلها من الحجر ، وقد فرشت أرضها بالرخام ، وجدرانها غنية بالزخارف •

أسواقها حسنة عامرة ، كثيرة الأشجار والبساتين •

٥٦ – حانِي :

اسم مدينة معروفة بديار بكر ، فيها معدن الحديد ، ومنها يجلب الى سائر البلاد ، تقع شمال آمد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعالي دجلة •

٥٧ – مَيَّافارقين

مدينة بدياربكر ، وهي قاعدة دياربكر ، مثل نصيبين في احداق المياه والبساتين بها ، وبها قبر سيف الدولة بن حمدان •

والظاهر أن ميافارقين العربية تحريف لاسم : (ميفركت Maypharkath) الآرامي ، أو : (موفركن Movfargin) الأرمني ، وسماها اليونان : (مرتيروبولس Martyropolis) •

وهي مدينة طيبة حصينة ، عليها سور عظيم من الحجر الأبيض الذي يزن الحجر منه نحو طن ونصف الطن • وبينما كانت آمد مبنية بالحجر الأسود ، كانت مباني هذه المدينة كلها من الحجر الأبيض ، وفي أعلى السور شرفات ، وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه • ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ، ركب فيه باب من حديد لاخشب فيه ، وكان في المدينة مسجد جامع حسن البناء ، ومسجد ثان في الربض ظاهر المدينة يقوم في وسط الأسواق ، ويليه بساتين كثيرة •

وفي ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميافارقين مدينة أخرى تسمى : (المُحدَثة) ، بها مسجدها الجامع وحماماتها وأسواقها ، وعلى أربعة فراسخ من ميافارقين مدينة : (النّصرِيّة) بناها سعدالدين نصرْ الدولة أبو نصر أحمد •

٥٨ ـ أرْزَن :

مدينة مشهورة على شيء يسير من ميافارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له : سربط ، أحد روافد دجلة ، مأخذه من ظهر أبيات أرزن •

ولأرزن حصن منيع عظيم ، وهي عامرة فيها أسواق حسنة ، وتحفّ بها بساتين يانعة كثيرة الماء •

وينبغي ألا يخلط بين أرزن هذه ، وبين أرزن الروم أو أرضروم التي ذكرناها في موضعها في بلاد الروم وفي مدن الفرات الاعلى من هذا البحث •

٥٩ ـ حِصْن كَيفْا :

بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر ، من دياربكر ، وهي ذات جانبين ، وعلى دجلتها قنطرة عظيمة ، وهي طاق واحد ، يكتنفه طاقان صغيران •

سماها الروم : (كيفس Kiphas) أو (كيفي Cephe) •

وللمدينة ربض عامر ، فيه الأسواق والفنادق والمساكن الحسنة ، وبناؤهم بالحجر والجص ، ولها ضياع حسنة وأسواق ، ولها مزارع وضياع كثيرة •

٦٠ – فَافَان :

مدينة على ضفة دجلة الشمالية أي اليسرى ، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا ، حيث ينعطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب • وحول المدينة بساتين ، وأسواقها عامرة ، وبناؤها من طين •

وباسم المدينة سمي : تل فافان ، يلتقي بدجلة عنده النهر الذي ينحدر من بدليس وينبع من جبال ارمينية جنوب غربي بحيرة (وان) • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب بحيرة (وان) اسمه : نهر الرَّزْم ، ويصير دجلة أسفل اقترانهما في مجرى واحد صالحا لسير السفن •

٦١ – سِعِرْت – إسْعِرْد – إسْعِرْت :

مدينة على نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه ، وهي على جبيل بالقرب من نهر دجلة في شماليه الشرقي ، تبعد من ميافارقين مسيرة يوم ونصف اليوم ، وميافارقين في شمال سعرت ، وسعرت جنوبها ، وتبعد عن آمد أربعة أيام وسعرت في الجنوب من آمد ، ويحيط بسعرت الجبال ، ولها الاشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم بدون سقي بل تعيش ديمية على المطر •

وهي مدينة عظيمة مشهورة بآنيتها النحاس الفاخر التي يصنعها الصفارون المهرة هناك ، وبأقداح الشرب التي تستورد منها ، وتعد من ديار بكر •

٦٢ – حِيزَان :

بلد قرب اسعرت من ديار بكر ، يكثر فيه الشجر والبساتين والمياه الغزيرة ، فيها الشاه بلوط والبندق ، وليس الشاه بلوط في شيءٍ من بلاد العراق والجزيرة والشام الا فيها •

٦٣ – الَهتّاخ :

قلعة حصينة قرب مَيافارقين من ديار بكر •

مُدُن الفرات الاعلى

٦٤ – مَنَازْجِرْد :

بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، يعد في ارمينية ، على نهر أرسناس (مراد صو) ، وتعرف أيضاً : مَلاَزْكِرْد ، ومَنَزْكِرْت ، ومَلاَسْكِرد ، ومَلَسْجِرْد ، وكانت في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) حصينة ، الجامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين •

وفي هذا البلد وقعت سنة ثلاث وستين وأربعمائة الهجرية (١٠٧١م) معركة حاسمة بين الروم والمسلمين ، أسر فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع (ديوجينس) ، وأدت هذه المعركة الى فتح آسية الصغرى وقرار السلاجقة فيها •

هواؤها طيب ، وأرضها خصبة •

٦٥ – مُوْش :

مدينة تقع في جنوب نهر أرسناس (مرادصو) في السهل العظيم غرب

بحيرة (وان) ، من ناحية خلاط بارمينية •

فيها مراعٍ غنية ، تسقيها أنهار تجرى شمال الفرات الشـرقي وجنوب دجلة ، وهي اليـوم خراب •

٦٦ – شِمْشَاط :

مدينة ذات شأن ، لا وجود لها اليوم ، تقع على نهر أرسناس (مرادصو) ويسمى نهر شمشاط أيضاً ، في الضفة الجنوبية من النهر أي اليسرى ، وكان اسمها : (ارسموساطا Arsamosata) عند الروم ، وهي غير سميساط •

٦٧ – حِصْن زِياد :

حصن" بأرض ارمينية ، ويعرف بـ : (خَرْتَبِرْت) ، في أقصى دياربكر من بلاد الروم ، بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات ، يقع بـين آمد وملطية وهو الى ملطية أقرب ، على بعدٍ غير بعيد من شِـمْشَاط ، وخرتبرت تعرف اليوم باسم : خربوط •

٦٨ – أَرْزَن = أَرْض روم = أَرْزَ روم :

مدينة جليلة سماها العرب : أرزن الروم ، من ارمينية ، وعرفها الارمن ([illegible] Karin) ، والروم باسم : (ثيودسيو بولس Theodasiopolis) فيها جامع شيد على غرار الكعبة المشرفة ، وبازائه كنيسة لها قبة قطر دائرتها خمسون ذراعاً ، وفي أكثر دورها بساتين ، ويسقيها ثلاثة أنهار •

٦٩ – أُونِيك = أبخور = أبشخور :

قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من منبع نهـر الرس ، والمدينة التي بلحف الجبل كانت تسمى : ابسخور (أو أبشخور) ، وكانت من أعمال أرزن

الروم ، وكانت كورتها تسمى : ياسبن •

٧٠ – أَرْزَنْجان :

بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات والأهل ، من بلاد ارمينية ، بين بلاد الروم وخلاط ، قريبة من أرزن الروم ، وغالب أهلها أرمن ، وفيها مسلمون • تقع على نحو مئتى ميل غرب أرزن الروم ، على ضفة الفرات اليمنى أي الشمالية ، ويسميها أهلها : ارزنكان • جُددت أسوارها في المئة السابعة الهجرية (الثالثة عشرة الميلادية) ، فبنيت بالحجارة المهندمة المتلاحمة ، ذات هواء طيب ، ويكثر فيها القمح والقطن والعنب ، وفيها معدن النحاس يصنعون منه الأواني وغيرها ، ولها أسواق حسنة الترتيب ، ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها •

٧١ – بَابِرْت :

قرية حسنة كبيرة ، ومدينة حسنة من نواحي أرزن الروم ، من نواحي ارمينية ، تقع في شمالي أرزنجان •

٧٢ – كَمْخ :

مدينة وقلعة على الفرات الغربي على مسيرة يوم أسفل أرزنجان ، في يسار النهر أي في ضفته الجنوبية ، وهي : (كمخا Kamcha) عند الروم • وهي قلعة عظيمة في أسفلها مدينة على ضفة النهر ، وكان من أعمالها كثير من القرى الخصبة •

٧٣ – قلعة إبريق = الاَبْرُوق :

على ستين ميلا أو أكثر غرب كمخ ، يزورّ الفرات جنوباً بعد أن كانت وجهة مجراه من أرزن (ارزروم) نحو الغرب ، ويصب في ضفته اليمنى هنا

نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة في أعاليه ، وهذا هو النهر المعروف الآن بنهر (جلته ايرمق) الآتي من دوريك أي ديوريكي ، وجاء الاسم في بعض المصادر دفريكي. وقدكتبه الروم بصورة : (تفريك Tephrike) ، وذكر الاسم في المخطوطات اليونانية بصورة : (أفريك Aphrike) ، فاختصر البلدانون العرب هذا الاسم فجعلوه بصورة : ابريق .

واشتهر هذا الموضع في ختام المئة الثالثة الهجرية (التاسعة الميلادية) بكونه معقلاً عظيماً للبيالقة (Paulicians) وهم فرقة غريبة من فرق نصارى الشرق ، ومذهبهم بين النصرانية والمجوسية ، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثودكس اضطهاداً شديداً . وكانوا على المذهب الذي أحدثه بولس الشمشاطي ، وعرفهم العرب بالبيالقة . وقد استولى البيالقة على تفريك وحصنوها ، وكان الخلفاء يؤازرونهم ويعينونهم ، فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين .

٧٤ – قلعة عرب كير :

تقع على شيء يسير من جنوب نهر جلتة ايرمق وديوريك ، بالتقاء نهر صاري جيجك بالفرات ، والقلعة على نهر صاري جيجك ، واسمه البيزنطي (Arabraces) ، وهي ليست ابريق وتفريك ، وتسمى اليوم : مدينة ريوريكي ، وهو حصن للبيالقة أيضاً ، كالحصن السابق .

ويبدو أن هذه المدن كانت مسالح متقدمة للثغور الاسلامية التي سنذكرها وشيكا ، تصد الغزاة الروم الذين يتعرضون بالحدود الشمالية الشرقية للدولة الاسلامية .

الثغور الجزرية (*)

١ – مَلَطْيَة :

تقع في الجنوب من سيواس وبينهما نحو ثلاث مراحل ، في شمالي زِبَطْرَة وبينهما مرحلة كبيرة، وهي قاعدة الثغور ومن أجلّ الثغور الاسلامية أمام الروم ، وقد سماها الروم : (ميلتين Melitene) .

كان لها مسلحة تحمي الجسر الذي على ثلاثة أميال منها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القُباقب بالقرب من ملتقاه بالفرات ، والقباقب هو النهر المعروف عند الروم باسم : (ملاس Melas) ويسميه الترك اليوم : (طوخمهصو) ، ومنبعه من قرب ملطية بعيداً عنها في الجبل الذي منه يخرج نهر جيحان ، وهو نهر : (بيرامس Pyramus) القديم الذي ينحدر نحو الجنوب الغربي الى البحر الابيض المتوسط في خليج الاسكندرونة .

ونهر القباقب ، أهم روافد أعالي الفرات بعد أرسناس ، ولنهر القباقب روافد كثيرة .

---

* الثغور : مدن لها موقع سوقي على الحدود بين الدولة الاسلامية والبلاد المعادية ، تشحن بالمدافعين عنها ، وواجبها صد أي اعتداء خارجي على البلاد الاسلامية ما استطاعت ، والا تعويق تقدم القوات المعادية الزاحفة بما يصل اليها المدد من القوات الاسلامية الضاربة ، كما تكون هذه الثغور قواعد متقدمة للانطلاق منها الى فتح المدن .

ولما آلت الخلافة الى هارون الرشيد الخليفة العباسي جعل لهذه الثغور ادارة مستقلة ، وسماها : العواصم ، وجعلها تابعة للجيش ، وقسم الثغور الى ثغور شامية وثغور جزرية ، انظر ابن الأثير (٦/١٠٨–١٠٩) .

والمراد بالعواصم هنا ، المدن التي تعصم من العدو وكان المسلمون في أيام قوتهم يتخذون الهجوم للدفاع عن حدودهم ، فهم يهاجمون العدو قبل أن يفسحوا المجال له لمهاجمته ، ومن المعروف أن الهجوم خير وسائل الدفاع .

وقد أمر الخليفة المنصور سنة أربعين ومئة الهجرية (٧٥٧م) عبدالوهاب ابن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، بتجديد بناء ملطية وبناء مسجدٍ حسنٍ فيها ، وبنى لها مسلحة ، فأقام عليها سنة حتى بناها واسكنها أربعة آلاف مقاتل ، وغزا الصائفة .

وهي مدينة كبيرة مسورة في بسيط من الارض ، تحف بها الجبال من بُعد ، ولها نهر عليه بساتين كثيرة يسقيها ، وجبالها كثيرة الجوز وسائر الثمار المباحة التي لا مالك لها ، ويمر نهرها بسور البلد ، وهي شديدة البرد .

ولملطية قنى تدخل البلد ، وتجرى في دوره وسككه .

وقد تعاورت ملطيةأيدي المسلمين والروم، بين كرّ و فرّ ،وقد احتلها الروم سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة الهجرية (٩٣٣م) ، فاستعاد المسلمون فتحها .
وهي ذات حصن منيع ، ومراعيها مشهورة ، ويكثر فيها القمح والقطن والفواكه كالجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية * .

٢ — طُرَنْدة :

حصن طرندة ، في أعالي نهر القباقب ، على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية ، وكانت مسلحةً اسلامية لحماية الدرب منذ فتحها عبدالله بن عبدالملك ابن مروان سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٥٢) ، ولكنهم تخلوا عنها سنة مئة الهجرية (٧١٩م) بأمر عمر بن عبدالعزيز ونقلوا أهلها الى ملطية ، لانها كانت داخلة في بلاد الروم متغلغلة بالعمق في أرضهم ، فخاف عمر بن عبدالعزيز على

---

* أما ملطية الحديثة ، فتقع على فرسخين من جنوب حصن طرندة الذي كان في العصور الوسطى قاعا ، وأطلال المدينة القديمة في (أسكي شهر) على فرسخ من الجسر القديم المسمى : (قرقكز) وهو يعلو نهر (طوخمهصو) فوق ملتقاه بالفرات بقليل .

المسلمين الذين فيها من الوقوع في أيدي الروم .

واسمها في المراجع البيزنطية : (ترنتة Taranta) ، واسمها حالياً : درندة ، وكانت قديماً قبل فتحها من أقوى حصون البيالقة .

٣ - زِبَطْرَة :

مدينة بين ملطية وسُمَيْسَاط والحدث، في طرف بلاد الروم، واشتهرت بحصنها العظيم ، على نهر قراقيس ، وهو رافد كبير من روافد نهر القُباقب ، يصب في جنوبه ، وتقع في أعالي نهر قراقيس .

ويقال لزبطرة عند الروم : (سوز بطرة Sozopetra) أو : (زبطرة Zapetra) ، ولعل أطلالها هي : (ويران شهر) على بضعة فراسخ من جنوب ملطية على نهر : (سلطان صو) ، وهو الا سم الحديث لنهر قراقيس .

والحصن عظيم ، من أقرب الثغور الى بلد الروم ، خرّبه الروم غير مرة، ثم بناه الخليفة أبو جعفر المنصور وبعده الخليفة المأمون .

واشتهرت زبطرة فيالتواريخ العربية والبيزنطية باستيلاء الملك البيزنطي : (ثيوفيلس Theophilus) عليها ، واستعادة الخليفة المعتصم لها في حملته على عمورية ، فقال أبو تمام يمدح المعتصم :

لبَّيْتَ صوتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لـه
كأسَ الكَرَى ورُضابَ الخُرَّد العُرُب

٤ - الحَدَث :

قلعة حصينة تقع بين ملطية وسُميساط ومَرعش ، وتسمى الحمراء ، لأن تُربتها جميعاً حمراء ، وقلعتها على جبل يقال لـه : الأُحيدب ، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي‌الله عنه على يدي حبيب بن مسلمة

الفِهرِي من قِبَل عياض بن غَنْم ، وكان معاوية بن أبي سفيان يتعاهدها بعد ذلك •

وكان بنو أمية يسمون درب الحدث : درب السلامة للطيرة ، لان المسلمين سبق أن أصيبوا به ، وكان ذلك الحدث الذي سمى به الحدث فيما يقول بعضهم ، ومعنى الحدث في اللغة : الخبر ، ولا سيما الخبر المحزن •

ولما كانت فتنة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، خرجت الروم ، فقدمت مدينة الحدث وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بملطية ، ولكن المسلمين استعادوا فتح ما استولى عليه الروم سنة احدى وستين ومئة الهجرية (٧٧٨م)، وجدد المهدي الخليفة العباسي عمارة الحدث سنة اثنتين وستين ومئة الهجرية (٧٧٩م) ، ثم أعاد الخليفة هرون الرشيد عمارتها من جديد ، وأسكنها ألفي مقاتل من جنده •

وقد تناوب المسلمون والروم عليها غير مرة ، وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة الهجرية (٩٥٤م) بعد أن تداولتها أيدي المسلمين والروم ، استعادها سيف الدولة الحمداني وأعاد عمارتها ، فقال المتنبي عند ذلك :

هل الحَدَثُ الحمراءُ تعرفُ لونَها
وتعلم أي الساقيَين الغمائمُ
بناها فأعلى والقَنا يَقرَعُ القَنا
وموجُ المنايا حولها متلاطِمُ
طريدة دهرٍ ساقها فردَدتَها
على الدين بالهندي والأنف راغم
لقيتُ الليالي كلَّ شيء أخذنه
وهنَ لما يأخُذنَ منك غوارم

ثم انتقلت الحدث الى يد مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي في سنة خمسٍ وأربعين وخمسمائة الهجرية (١١٥٠ م) •

والحدث هي : (أداتا Adata) عند الروم •

وكان النهر الذي تقوم الحدث بالقرب منه يسمى : نهر حُوَيرث الذي يصب في نهر جَيحان (بيرامس) ، وكان في الحدث مسجد جامع •

٥ – حِصْنُ مَنْصُور :

من أعمال ديار مُضَر في الجزيرة ، ولكنه في غربي الفرات قرب سُميساط ، وكان مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب ، وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران ، ومن حصن منصور الى زِبَطرَة مرحلة واحدة •

والحصن على نهر له ، والنهر من الروافد اليمنى للفرات ويصب فيه أسفل سُميساط ، ويقال لحصن منصور اليوم في الغالب : (أديمان) ، وكان الروم يسمونه : (برها Perrha) •

وقد نسب هذا الحصن الى بانية منصور بن جعونة بن الحارث العامري القيسي ، كان تولى بناء عمارته ومرمته ، وكان مقيما به أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ليرد العدو ومعه جند كثيف من أهل الجزيرة والشام وارمينية ، وكان منصور هذا على أهل الرها حين امتنعوا في أول الدولة العباسية ، فحصرهم أبو جعفر المنصور وهو عامل أخيه السفاح على الجزيرة وارمينية ، فلما فتحها هرب منه منصور ، ثم أمن فظهر ثانية • ولما خلع عبدالله ابن علي أبا جعفر المنصور ، ولي منصورا هذا شرطته ، وحين اخفقت ثورة عبدالله بن علي وهرب الى البصرة ، استخفى منصور بن جعونة ، فدل عليه سنة احدى وأربعين ومئة الهجرية (٧٥٨م) ، فأتى به المنصور ، فقتله بالرقة عند منصرفه من البيت المقدس •

ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال في أيام أبيه المهدي •

وأصاب هذه المدينة ما أصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب ، لتعاور أيدي المسلمين والروم لها ، حتى أصبح هذا الحصن في المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) خرابا ، حوله مزدرع من الأرض ، وقد كان مدينة صغيرة حصينة فيها منبر ولها مزارع وقرى تسقى بالمطر ، وكانت في مستوى من الأرض ، فوق الفرات الذي يحاذي حدها الجنوبي •

٦ – قلعة بَهَسَنا :

تقع غرب حصن منصور ، بقرب مَرعش وسميساط ، على سن جبل عال ، والبلدة التي تحتها فيها جامع ، ولها أسواق عامرة ، وما حولها أرض واسعة الخير والخصب • والقلعة حصينة عجيبة • وعلى نهر سنجة القريب منها ، وهو ما أسماه الروم : (سنكز Singas) ، تقع سنجة وهي مدينة صغيرة ، بقربها قنطرة مشهورة على هذا النهر ، مبنية بحجر مهندم ، وهي طاق واحد ، وليس أعجب ولا أعظم منها ، ويضرب بها المثل ، باعتبارها احدى عجائب الدنيا •

وجاء ذكر قلعة بهسنا في أخبار الحروب الصليبية باسم : (بهسدن Behasdin) ، وكانت مدينة بهسنا على نهر من روافد الفرات اليمنى •

الجبال والأنهار

١ – الجبال :

في اقليم الجزيرة جبال عالية وسهول خصبة وبواد قليلة المياه واضحة الجفاف •

وأهم ما في هذا الاقليم من جبال هو : جبل سنجار ، بين الخابور ودجلة،

يبلغ ارتفاعه (٤٨٠٠) قدما • وجبل ابراهيم ، يبلغ ارتفاعه (١٧٥٣) قدما • وجبل مكحول يبلغ ارتفاعه (١٦٠٠) قدماً •

وهذه الجبال الثلاثة تقع في غربي دجلة •

أما في شرقي دجلة ، بين دجلة والزاب الكبير ، فهناك جبل باعشيقا يبلغ ارتفاعه (٢١٧٧) قدما ، وجبل مقلوب ، يبلغ ارتفاعه (٣٤٨٣) قدما •

وهناك جبال منفردة أخرى ، بين الزابين الكبير والصغير ، وبين هذا الاخير والحدود العراقية الايرانية الحالية •

وعلى العموم ، فان جبال هذا الاقليم ليست مرتفعة ولا شاهقة ولا وعرة، وتقع الجبال الشاهقة في شمالي هذا الاقليم بصورة خاصة •

٢ ـ الأنهار :

ينبع نهرا دجلة والفرات من الشمال الشرقي لمنطقة اقليم الجزيرة ، وتتصل روافدهما بهما من الجهة اليسرى من النهرين : دجلة والفرات •

ينبع نهر الفرات من الجبال الواقعة بين بحيرة (وان) في جبال ارمينية وبين البحر الأسود ، عند خط العرض (٤٠) شمالا في بلاد الروم ـ كما كان يعبر الجغرافيون القدامى (تركيا حاليا) •

ويتمتع الفرات ـ على عكس دجلة ـ بأهم روافده قبل دخوله الحدود العراقية وأهمها : رافدا البليخ [٥] والخابور •

(٥) البليخ : اسم نهر بالرقة ، يجتمع فيه الماء من عيون ، وأعظم تلك العيون عين يقال لها : الوهبانية في أرض حران ، فيجري نحو خمسة أميال ، ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبدالملك حصناً يكون أسفله قدر جريب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣) •

ويبدو أن المسعودي [٦] كان أكثر دقة في استمكان منبع الفرات ، حيث ذكر أن مبدأ الفرات من جبال ارمينية : «على نحو يوم من قاليقلا شمال أرضروم » ، والمسعودي على صواب ، اذ أن منبع الفرات الاصلي هو (قرهصو) كما هو معروف ، وقاليقلا مدينة تعد من مدن ارمينية الرابعة [٧]، تقع بالقرب من الحدود الشرقية البيزنطية في هضبة ارمينية الغربية التي تتصل بهضبة الانضول في أرض سهلة مستوية [٨] .

أما نهر دجلة ، فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود ارمينية ، ويمر بجبال السلسلة ثم بمدينة آمد ومدينة ميافارقين في ديار بكر قبل أن يصل الى مدينة الموصل الحدباء في ديار ربيعة ، حيث يتصل به رافداه : الزاب الكبير ، والزاب الصغير ، ثم يتجه الى تكريت غربي ديار بني شيبان حتى يصل الى بغداد .

ومنبع الزابين : الكبير والصغير ، من جبال ارمينية ، ويصب الزاب الكبير في دجلة بمدينة الحديثة ، ويصب الصغير في دجلة أيضا بمدينة السن [٩] .

تلك هي مجمل أنهار اقليم الجزيرة ، لاعطاء فكرة موجزة عما تضم هذه المنطقة العريقة من أنهار .

---

(٦) مروج الذهب للمسعودي (١/٦١ ـ ٦٢) .
(٧) فتوح البلدان (٢٧٢) .
(٨) الموقع الجغرافي للعراق (٢٩٥) .
(٩) الدولة الحمدانية (١/١٢٧ ـ ١٢٨) .

السكان

١ ـ العرب

العرب هم أغلب سكان اقليم الجزيرة قبل الفتح الاسلامي ، وكانوا مزيجا من قبائل مُضَر وربيعة العدنانيين ومجموعات قبلية أخرى عدنانية وقحطانية، استقرت هناك نتيجة هجرات متتابعة في أزمان مختلفة قبل الاسلام بعدة قرون .

فقد ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب ، فانطلقوا هاربين ، ولحقت طائفة منهم ببعد من الارض ، فقيل لعمر : «أنشدك الله في بني تغلب ، فانهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يُعَن عدوك عليك بهم» ، فأرسل عمر في طلبهم ، فردّهم وأضعف عليهم الصدقة ، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا : «أما اذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانّا نرضى ونحفظ ديننا » [١٠] . وكان الامام الزُهري يقول : « ليس في مواشي أهل الكتاب صدقة، الاّ نصارى بني تغلب ــ أو قال : نصارى العرب ــ الذين عامة أموالهم المواشي ، فان عليهم ضعف ما على المسلمين» [١١] ، وهذا دليل على ان العرب كانوا في الجزيرة قبل الفتح الاسلامي .

ويبدو أن أهم القبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام ، كانت : تغلب ، واياد ، والنمر [١٢] ومُضَر .

وبنو تغلب هم : تغلب بن وائل بن قاسِط بن هِنب بن أفصى بن دعمى

---

(١٠) البلاذري (٢٤٩ ــ ٢٥١) .
(١١) البلاذري (٢٥١) .
(١٢) ابن الاثير (٢/٥٢٣) .

ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [١٣] ، وهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنـــان [١٤] .

واياد بن معد بن عدنان [١٥] ، واياد بن نزار بن معد بن عدنان [١٦] .

والنمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديـلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [١٧] .

أما مُضَر ، فهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ومضر واياد وربيعـة اخوة ، فهم أبناء نزار بن معـد بن عدنان [١٨] ، وبنو تغلب من ربيعة أيضــا كما ذكرنــا .

وقد أطلقت المراجع الفارسية على منطقة نصيبين وما حولهـا اسـم : (عربستان) أي بلاد العرب ، كما أطلق سترابو اسم بلاد العرب على اقليـم الجزيرة الواقع جنوبي المنطقة الكردية والتي تمتد حتى الصحراء [١٩] .

ويبدو من تتبع تاريخ امارة (الحضر Hatra) التي مـازالت آثارها ماثلة للعيان في منخفض من بادية جزيرة العراق على مقربة من الضفة الغربية لوادي الثرثار بين تكريت والموصل ، أن العرب عاشوا هناك منـذ سقوط دولة الآشوريين في سنة (٦١٢) قبل الميلاد ، وأنهم أقاموا سلالة حاكمة. ان وجود آلهة عربية عُبدت في الحضر أيام الآشوريين الى جانب الآلهة

(١٣) جمهرة انساب العرب (٤٦٩) .
(١٤) جمهرة انساب العرب (١٠) .
(١٥) جمهرة انساب العرب (٩ و ٣٢٧ ـ ٣٢٨) .
(١٦) جمهرة انساب العرب (١٠) .
(١٧) جمهرة انساب العرب (٣٠٠) .
(١٨) جمهرة انساب العرب (١٠) .
(١٩) الدولة الحمدانية (١/١٩٥) .

الآشورية ، أتى بها العرب من جزيرتهم كاللّات وشمش يقف دليلا على وجود العرب في المنطقة قبل الميلاد بقرون ، وقد حكمت في الحضر سلالة عربية مدة ثلاثة قرون ، وكان أول حكامها أميرا عربيا اسمه سنطروق ورد ذكره في كتابة اكتشفت هناك نصت على أن أباه اسمه : نصر ، وأن لقبه : ملك العرب[٢٠] ، ويبدو ان حكام هذه الامارة كانوا من قبيلة قُضاعة [٢١] .

وقضاعة هو : قضاعة بن عَدنان ، وقال قوم : قضاعة بن مالك بن حمير ، وقال قوم منهم الكلبي : هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِميَر [٢٢] .

يقول ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة الحضر : «ان بني قضاعة لما افترقوا ، سارت قبيلة منهم الى أرض الجزيرة ، وعليهم ملك يقال له الضيزن ابن جلهمة أحد الاحلاف ، فنزلوا مدينة الحضر »[٢٣] ، والضيزن من العرب من قضاعة ، وهو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخَع ابن سليح بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وان أمه من تزيد بن حلوان اسمها : جيهلة [٢٤] ، وانه كان يعرف بأمه ، وكان ملك الجزيرة ، وكان معه من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاعة مالايحصى ، وأن ملكه كان قد بلغ الشام [٢٥] .

وظل الضيزن على عرشه حتى نشب عداء بينه وبين سابور بن أردشير

---

(٢٠) الحضر ــ نشرة لمديرية الآثار العامة ــ بغداد .
(٢١) الطبري (٢/٤٧) وابن خلدون (٢/٢٤٩) .
(٢٢) جمهرة انساب العرب (٤٤٠) .
(٢٣) معجم البلدان (٣/٢٩٠) .
(٢٤) في معجم البلدان : جلهمة ، وفي الأغاني : جبهلة .
(٢٥) الطبري (٢/٤٧) .

ملك الساسانيين أسفر عن مقتل الضيزن وسقوط امارة الحضر بيد الساسانيين وتشتت قضاعة وبني حلوان ممن كانوا في الحضر (٢٦) .

وبنو حلوان ، ينتسبون الى حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة(٢٧).

والمهم هو تأكيد وجود قبائل قضاعة في الحضر يوم حاصرها سابور الاول (٢٤١ م ـ ٢٧٢م) .

وأضخم هجرة عربية الى الجزيرة ، هي تلك التي حدثت في القرن السابع الميلادي ، وتفصيل الأمر ، أن ربيعة العدنانية بعد أن خرجت من سلطة اليمن في أواخر القرن الخامس الميلادي وخلعت طاعتها ، وأصبحت قائدة لقبائل معد من قضاعة ومضر واياد ونزار ، بدأت بينها وبين حلفائها من القبائل الاخرى ، وبين بطونها هي نفسها ، وقائع وحروب أدت الى كثير من المآسي. أما الذي يهمنا هنا ، فهو ما أعقب ذلك من هجرات قبلية كبيرة الى الجزيرة ، هي التي أعطتها تكوينها البشري النهائي وأسماء مناطقها : ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر ، فالحروب التي جرت بين بكر وتغلب من قبائل ربيعة ، وأهمها حرب البسوس (٢٨) من أيام العرب بين بكر وتغلب ، والوقائع التي جرت بين شيبان وتغلب من ربيعة أيضا (٢٩) ، والتي جرت بين قبائل ربيعة ومضر ، وبين قبائل مضر ذاتها وبخاصة حرب داحس والغبراء (٣٠) ، وبين عبس وذبيان (٣١) ، كل ذلك أدى الى هجرات متتالية الى البلاد المجاورة ومنها

(٢٦) انظر التفاصيل في الطبري (٢/٤٨ ـ ٥٠) ومعجم البلدان (٣/٢٩١) .
(٢٧) جمهرة انساب العرب (٤٥٠) .
(٢٨) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١/١٤٢ ـ ١٦٨) .
(٢٩) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١/١٦٩ ـ ٢٢٨) .
(٣٠) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١/٢٢٩ ـ ٣٠٩) .
(٣١) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١/٢٣٠ ـ ٢٩٩) .

الجزيرة ، بسبب البحث عن أرض جديدة وعيش أكثر رخاء [٣٢] .

واذا أردنا أن تتعقب هجرة هذه القبائل العدنانية ، نجد أنها تحركت أول الأمر من موضعها في شبه الجزيرة العربية ، فتركت ثلاث بطون من ربيعة أماكنها في تهامة والحجاز ونجد وهي تغلب بن وائل ونمير بن قاسط وشيبان ابن بكر بن وائل أخ تغلب ، واستقر هؤلاء جميعا في حدود مملكة اللخميين في الحيرة ، على حين استوطنت جماعات منهم بين الكوفة والبصرة قبل أن تبنى هاتان المدينتان الاسلاميتان . ونجد أن تهامة تضيق عن أنمار بعد حرب بينها وبين مضر ، فتنزح عن مواطنها ، ثم نزحت اياد بعد حرب على ربيعة ومضر ، فنزل بعضهم الجزيرة وتكريت والموصل [٣٣] حيث سبقهم الى اقليم الجزيرة بنو عمهم من بكر بن وائل وغيرهم . وبعد حرب حاسمة بين بكر وتغلب هزمت تغلب التي كانت متزعمة على قبائل ربيعة وبيدها لواؤها ، فتفرقت في الأصقاع ، فانحازت النمر وغفيلة ، وغفيلة هم بنو عامر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [٣٤] ، انحازوا الى أطراف الجزيرة وعانات ومادونها الى ديار بكر وماخلفها من بلاد قضاعة[٣٥] ، على حين استقرت بكر في مناطق كثيرة من الجزيرة ، واستقرت بعض بطونها في دياربكر من اقليم الجزيرة . وبعد خروج ربيعة ظلت مضر وحدها في منازلها بتهامة ، حتى كثرت أعدادها وضاقت بهم مساكنهم ، فخرجوا يبحثون عن أرض جديدة،

(٣٢) الدولة الحمدانية (١/١٦٧ ـ ١٦٩) .
(٣٣) البكري (٧) .
(٣٤) جمهرة انساب العرب (٣٠٠) .
(٣٥) بلاد قضاعة : كانت مساكن قضاعة ومراعي اغنامهم جدة ميناء مكة المكرمة الواقعة على البحر الأحمر فما دونها شرقا الى منتهى ذات عرق وهي الحد بين نجد وتهامة الى حيز الحرم من السهل والجبل .
(٣٦) الدولة الحمدانية (١/١٧٠) .

والاقتتال في أثناء ذلك يزداد حدة بين قبائلها ، والذي يهمنا أن بعض قبائل مضر استقرت في الجزيرة ، ومنها : نمير ، وعقيل ، وقشير ، وتميم ، وعمرو بن مالك وسليم وغيرهم [٣٧] .

ونُمير ، هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة[٣٧] بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر [٣٨] .

وعُقَيل ، هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر [٣٩] .

وقُشَير ، هم بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر [٤٠] .

وتميم ، هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن مضر [٤١] .

وعمرو بن مالك ، هو عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد [٤٢] اليمانية .

وسُلَيم ، هم بنو سليم بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد[٤٣] اليمانية .

لقد كانت جذور العرب في الجزيرة عريقة جدا ، تمتد الى بضعة قرون قبل الاسلام ، وكانوا في الجزيرة قبل الفتح الاسلامي ، فلا عجب أن يتمسك

---

(٣٧) جمهرة أنساب العرب (٢٧٩) .
(٣٨) جمهرة أنساب العرب (٢٧١) .
(٣٩) جمهرة أنساب العرب (٢٩٠) .
(٤٠) جمهرة أنساب العرب (٢٨٩) .
(٤١) جمهرة أنساب العرب (١٩٨ و ٢٠٧ و ٤٦٦) .
(٤٢) جمهرة أنساب العرب (٣٨٠ – ٣٨١) .
(٤٣) جمهرة أنساب العرب (٣٨١) .

عرب الجزيرة بالسجايا العربية والمثل العربية العليا ، ويحرصون على الدفاع عن السجايا العربية ومثل العرب العليا .

وكان عرب الجزيرة ، قبل الفتح الاسلامي ، وقبل الاسلام ، يشكلون الأكثرية المطلقة بين مختلف عناصر السكان ، لذلك كانت لهم امارات ودول وجيوش وحضارة ، وسيطروا على الطرق التجارية التي تمر عبر الجزيرة من الشمال الى الجنوب ، ومن الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق .

٢ ـ الأكراد :

سكن الاكراد اقليم الجزيرة منذ القدم ، وكانوا عنصرا مهما من عناصر سكانها ، اشتهروا بقوة أبدانهم وشدة بأسهم وقدرتهم الحربية التي اكتسبوها من طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة .

والآثار القديمة الخاصة بالاكراد ، المكتشفة حتى اليوم ، لاتعطينا فكرة قاطعة عن أصل الاكراد ومنشئهم (٤٤) ، ومن المحتمل جدا أن الاكراد هاجروا في الاصل من شرقي ايران الى الغرب في منطقة كردستان واستوطنوا فيه منذ فجر التاريخ ، وهذا لايمنع وجود أقوام في تلك المنطقة قبل هجرة الاكراد اليها ، فاختلط الشعب الوافد بتلك الاقوام واندمج فيها اندماجا كليا ، فصاروا أمة واحدة على مدى الايام (٤٥) .

وكان الاكراد قبل الاسلام يدينون بالعقيدة الزردشتية التي ظهرت في فارس وميديا ، فلما ظهر الاسلام وانتشر في اقليم الجزيرة ، اعتنقه الاكراد وأخلصوا له واندمجوا في المجتمع الاسلامي الكبير الذي ضم عديدا من

---

(٤٤) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (٤٠) .
(٤٥) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (٤١) .

الاجناس والاقوام .

ويذكر قسم من المؤرخين العرب ، أن أصل الاكراد مـن العرب[٤٦] ، ولا دليل على ذلك . وليس معنى هذا ، أنه لايوجد العنصر العربي في الاكراد، فالواقع أن قسما من القبائل العربية جاورت الاكراد ردحا طويلا ، فاندمجت بهم اندماجا كاملا في العادات واللغة . وكمثال على ذلك ، فقد نزل مدينـة حلوان القريبة من خانقين قـوم من ولد جريـر بن عبداللـه البجلي [٤٧] ، فأعقابهم بها [٤٨] ، أي أن قبيلة بجيلة العربية أو قسما منها نزلت منطقة خانقين وحلوان في أيام الفتح الاسلامي ، واليوم في هذه المنطقة قبيلة كردية باسم : (باجلان) ، وهي بمعنى : بجلي ، نسبة الى بجيلة القبيلة العربيـة المعروفة ، لأن الألف والنون في باجلان علامة نسبة بهلوية [٤٩] .

وما يقال عن قبيلة بجيلة العربية التي استكردت ، يقال عن قسـم مـن أعقاب الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي العرب الذين استكردوا . وقد قضيت بضع سنوات قائدا لحامية قصبة عقرة الكردية ، فكان رؤسـاء عشائرها بدون استثناء هاشميين أو عباسيين أو أمويين ، ولديهم وثائق تثبت صحة نسبهم الى تلك البيوتات العربية العريقة ، مما يدل على أن الصلة الوثيقة بين العرب والاكراد لاتقتصر على علاقات الدين والجوار ، بل تشمل أيضـا

---

(٤٦) مروج الذهب (٢٥٣/٣ ــ ٢٥٤) ووفيات الأعيان (٤٣٩/٤) .
(٤٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ ــ ٣٧١) ، وكتابنا : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .
(٤٨) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٦٤ ــ ٣٦٥) .
(٤٩) راجع كتاب : دستور بهلوي (٢٠٧) ــ بمبي ــ ١٩٢٤م ، فباجلان اذن نسبة الى بجيلة ، فأسقطت منها التاء المربوطة بعد ان تحولت الى هاء صامتة تخفيفا ، فأضيفت الى آخر الكلمة أداة النسبة البهلوية (ان) ، ثم أشبعت فتحة الباء فتحولت ألفا ، فأصبحت الكلمة : باجلان .

علاقة القربى ، علاقة الدم ، فهي أوثق من أن تضعفها الأهواء والنزعات والنزوات ، لانها علاقة عضوية أزلية •

٣ ـ الآراميون :

مجموعة من القبائل السامية التي عاشت في المدة الممتدة بين القرنين الحادي عشر والثامن قبل الميلاد ، في منطقة آرام التي تشمل مساحات واسعة من شمال سورية ، فاستولت على مناطق واسعة أخرى في الجزيرة العربية •

ويبدو أن موطن الآراميين الاصلي كان الصحراء السورية (بادية الشام)، ومنها انتقلت شأنها شأن غيرها من القبائل الى الارض الزراعية المجاورة ، حيث اختلطت بالشعوب الاخرى المقيمة هناك •

ولقد وردت أخبار الآراميين في النصوص الآشورية التي يتضح منها أنهم كانوا يعيشون عند نهر الخابور وفي منطقة الفرات الأوسط ، وذكرهم الملك الآشوري تجلات بلاصر الاول (١١١٦ ـ ١٠٧٦ ق•م) فقال : « انه شن عليهم ثمانياً وعشرين حملة تمتد من تدمر الى عانات » •

وفي نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، كونوا دولة (بيت عدن Bit - Adin) على ضفتي الفرات أسفل كركميش ، كما أقاموا في وادي الخابور مشيخات عديدة ، واستولت بعض قبائلهم على نصيبين وعلى المنطقة الواقعة جنوب غربي ماردين ، بل انهم بلغوا منطقة جبل طور عابدين غرب الفرات ، وفي الجنوب امتد نفوذهم حتى دمشق • وقد اتسع نفوذ الآراميين خلال القرن الحادي عشر ق•م ، فاحتلوا سورية وانتشروا على طول نهر الفرات الاوسط والاسفل ودجلة الاوسط ، وفرضوا نفوذهم السياسي على بابل نفسها ، بحيث أصبح مابين بابل والبحر الابيض المتوسط تحت سطوة القبائل الآرامية المعروفة بالكلدانيين في التوراة •

وقد ظل الصراع محتدما بين الآشوريين والآراميين حتى قيام الامبراطورية البابلية الجديدة المعروفة بالكلدانية ، حيث اندمجت العناصر الكلدانية والآرامية والبابلية ببعضها .

لقد قام الآراميون بدور بارز في الحياة الثقافية والتجارية لاقليم الجزيرة، فمن الناحية الثقافية نجد أن اللغة الآرامية ، وهي لغة سامية لها شبه باللغة العربية ، تصبح منذ القرن التاسع قبل الميلاد لغة أدبية ثقافية ، ثم تصبح فيمابعد لغة التجارة والثقافة في بلاد مابين النهرين خلال حكم الآشوريين المتأخر والبابليين والكلدانيين (بابل الجديدة) ، حتى اذا ما سقطت هذه الاقاليم ضمن الامبراطورية الفارسية (٥٣٩ ــ ٣٣٢ ق٠م) ، كانت اللغة الآرامية لغة مستعملة مابين مصر والهند ، غير أن انتصارات الاسكندر المقدوني واحتلاله لقسم من البلاد الشرقية في آسيا كما هو معروف ، أحل اللغة اليونانية محل اللغة الآرامية لغة رسمية في الشرق ، ومع ذلك ظلت لهجات آرامية تحيا خلال العهود الرومانية ، بل ان هذه اللغة ما زالت في بعض قرى سورية والجزيرة وأذربيجان وطور عابدين وبحيرة أورمية .

وعلى الرغم من أن الجغرافيين والمؤرخين العرب ، لم يستعملوا لفظة : (الآراميين) للدلالة على القبائل الآرامية ، الا انهم استخدموا لفظة : (نصارى) ، وهم بذلك يشيرون الى الآراميين الذين عاشوا منذ قرون عديدة قبل الاسلام في اقليم الجزيرة .

كما نعثر كثيرا على لفظة : (الجرامقة) للدلالة على النصارى في الجزيرة بصورة خاصة ، ويستعمل ابن حوقل لفظة : (الشهارجة) ، ويريد بهم النصارى أيضا [٥٠] ، كما يستعمل هذه اللفظة غيره من المؤرخين والجغرافيين

---

(٥٠) صورة الارض (١٩٦) وانظر ابن الاثير (٢/٥٢٣) .

العرب .

والجرامقة هم الآراميون ، وكانت لغتهم لغة السريان الشرقيين ، وأصل كلمة : (الجرمقاني) التي هي مفرد كلمة الجرامقة ، معربة عن أصلها الآرامي : (جرمقايا) أي من كان أصله من : (بيت كرمـاى) (٥١) ، وقد توصل نولدكه بدراساته أن الجرامقة هم من الاصل الآرامي أو النبطي . وعلى الرغم مـن أن المؤرخين العرب استعملوا لفظة : (النبط) للدلالة على أخلاط الفلاحين في العراق ، الا أنهم أرادوا بهم على وجه الدقة الآراميين (٥٢) .

ولايزال بقايا الآراميين في كثير من مدن وقرى الجزيرة حتى اليوم .

الفهرس

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

الفهــرس

(المقـالات)

الصفحة

(عرض الكتب)